رصد ودراسة
لبعض الجوانب السيرة الهلالية فى السودان

أحمد عبد الرحيم نصر

لم تحظ سيرة بنى هلال فى السودان بدراسة كاملة حتى الآن، وليس هناك غير دراسة تاريخية واحدة للحركة الهلالية فى الاقليم الغربى (دارفور).[١] أمّا الدراسة الأدبية فنجدها عند عبد المجيد عابدين،[٢] الذى صاغ "تغريبة سودانية" ممّا يروى خلافا للنمط الشائع فى البلاد العربية، وعند سيّد حريز[٣] الذى أرجع انتشار النمط الشائع فى البلاد العربية، فى السودان الى أنّ أبى زيد يجمع بين العروبة والافريقية بالاضافة لقيم أخلاقية مثل الاقدام والشجاعة.

أمّا الروايات الشائعة فى غرب السودان (انظر الملحق) فلم تجد حظها من التحليل بعد. وهذا ما نحاوله فى هذه المقالة بعد نقاش لما جاء عند عبد المجيد عابدين وسيّد حريز.

* * * * * * *

يذكر المقريزى وجودا لبنى هلال على الحدود السودانية فبعد عام ٨٦٥م أصبح لأبى عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العمرى الذى يشايعه القحطانيون (جهينة) والعدنانيون (ربيعة ومضر)، أصبح له شأن فى أرض المعدن بوادى العلاقى. واستمرّت العلاقات بينه وبين البجة وحلفائهم من ربيعة طيبة الى أن قتل البجة أخاه من أمّه. فاستدعى العمرى مضر لحرب ربيعة والبجة ولكن مضر رفضت وفضّلت الهروب. فتركت تميم فى أرض المعدن واستقرّت شرقى النيل، وعبر بدو هلال النيل الى الغرب هاربين.[٤]

وفى العصر الفاطمى لا نجد أيّة إشارة لوجود بنى هلال فى حدود السودان أو انسياحهم فيه رغم وجودهم فى صعيد مصر، والاشارة لتغريبتهم منذ عام ١٠٥١م وبقاء جماعات منهم بالصعيد.

وتذكر مراجع ومصادر عصر المماليك التصادم والتحالف أحيانا اللّذين كانا يقعان بين المماليك والأعراب . وكانت النتيجة فى كلا الحالتين تؤدى الى التوجّه نحو السودان . فقد كان الأعراب يهربون للسودان فى حالة الصدام بسبب سياسة المماليك الادارية والمالية . كما أنّهم (بنو هلال وأولاد أبى بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد سبيان وأولاد الكنز) اشتركوا فى الحملات التى سيّرها السلطان سيف الدين قلاوون لمحاربة ملك مملكة المقرّة المسيحية فى السودان عام ١٢٨٧م . وكانت كلّ حملة تنقسم الى فرقتين: تسير واحدة بالبر الشرقى والأخرى بالبر الغربى تجاه دنقلا عاصمة المقرّة وما وراءها . وربما آثر بعض أولئك الأعراب الاستقرار فى السودان ولم يرجعوا مع الحملة (٥)، وربما اتجهوا نحو الجنوب الغربى وانضمّوا الى أسلاف قبيلة البقارة . (٦) ويختلف المؤرّخون حول تحرّكات الهلالية فى السودان بعد ذلك . (٧) فيقول بعضهم أنّهم اتخذوا الطريق النيلى ويقول آخرون أنّهم اتخذوا طريق الصحراء الشرقية .

وفى عام ١٣٤٨م وقف المماليك مع الهلاليين فى نزاعهم مع قبيلة عرك وعاونوهم على هزيمتهم عام ١٣٥١م . ولكن قبيلة عرك عاودت النزاع بمساعدة جهينة وبنى كلب تحت رئاسة شيخ العركيين محمد ابن واصل الأحدب . فحشد المماليك جيشهم فى عام ١٥٥٣م تحت قيادة سيف الدين شيخو فأصاب ذلك الأعراب بالصعيد بالذعر وفرّ بعضهم الى بلاد النوبة . وأضمر المماليك للهلاليين شرّا أثناء حملتهم فى عام ١٣٠٣م وقتلوا كثيرين منهم ممّا جعل بقاياهم بالصعيد تهرب الى السودان، حتى أنّه لم يبق بدوى بصعيد مصر . (٨)

ويذكر القلقشندى فى صبح الأعشى أنّ سلطان البرنو فى السودان الغربى أرسل الى سلطان المماليك بمصر فى عام ١٣٥١م شاكيا من اجتياح الجذاميين لبلاده وافسادهم فيها طالبا معاقبتهم (٩) وربما كان هؤلاء الجذاميون هم الذين بلغوا شمالى دارفور وقضوا على حكم الزغاوة هناك . ويعتقد عبد الحميد عابدين أنّ اللّخميين والهلاليين شايعوا الجذاميين فى مسيرتهم لشمال دارفور . (١٠)

ولا تذكر المصادر والمراجع شيئا عن حركة الهلاليين الى داخل

السودان بعد القرن الرابع عشر الميلادى،ولكن الروايات الشفهية - خاصة فى غرب السودان - تحفل بها.

يرى عبد المجيد عابدين أنّ تلك الروايات التى تتحدث عن وصول بنى هلال لدارفور عن طريق شرق السودان تحوير للتعريبة المعروفة لجعل السودان طريقا لهم،وهى روايات "ترضى مشاعر القبائل النازحة وتعبّر عن مطامحهم فى المهجر الجديد وتبعث فى نفوسهم لونا من العزاء عن مواطنهم التى فارقوها فى مصر وشمال افريقيا".[١٠] وقد أدرج آخرون الروايات عن احمد المعقور تحت نمط اسطورة "الغريب الحكيم" الشائعة فى حزام بلاد السودان.[١١] وأدى استبعاد هذه الروايات كمصدر من مصادر التاريخ الى حرمان الدراسات التاريخية من منبع ثر.

وقد توفّر باحث على دراسة تاريخ الهلالية فى دارفور فى غرب السودان معتمدا،بجانب الوثائق المكتوبة،على التراث الشفاهى، خاصة الروايات المتعلّقة بأبى زيد الهلالى واحمد المعقور. فكسر البنيات الطولية للأحداث الواردة فى الروايات الى وحدات وغربل هذه الوحدات ليصل الى القاسم المشترك الأعظم بينها ويضع يده بالتالى على النواة الوقائعية[١٢] رافضا بذلك اعتبار تلك الروايات كعينة من عينات "الغريب الحكيم" استنادا على مبدأ نظرى يطالب بالحذر فى تطبيق النمط الثقافى على شخصية يمكن أن توجد لها احتمالات وقائعية. وخلاصة المبدأ "أنّ النمط الثقافى المتكرّر لا يقبل التطبيق على الشخصية التاريخية الاّ فى حالة التعميم الذى يتناسى الاختلافات الفردية بين البشر ومواقفهم وأدوارهم".[١٣] ولكن هذا الباحث لا يدّعى أنّ دراسته تلك ستسد أكثر من فراغ أو فراغين فى ثغرات الموضوع الهلالى الخصب بالتساؤلات.[١٤] ولأنّه ركّز على الجانب التاريخى فقد أدّى ذلك بالضرورة الى ضمور فى الاشارة للجوانب الأدبية للسيرة الهلالية.[١٥]

× × × × × × ×

لاحظ عبد المجيد عابدين وجود تغريبتين للهلالية عند السودانيين

الاولى شبيهة بالنمط الشائع فى سائر البلاد العربية . والثانية تغريبة سودانية . سنعنى هنا أولا بالأولى ونؤجل الحديث عن الثانية ليأتى فى حينه . أمّا الأولى فهى تنتشر عند قبائل نيلية فى الاقليم الشمالى كالدناقلة[16] والمناصير[17] والرباطاب .[18] وقد سجّلت رواية منها أيضا من عند الرشايدة ،[19] وهم آخر مجموعة عرب رحّل هاجرت من الجزيرة العربية الى السودان حوالى عام ١٨٢٠ . ونلاحظ تشابها شديدا بين روايتى الرباطاب والمناصير . ولا غرو ، فالقبيلتان متجاورتان . أمّا الدناقلة وهم فى اقصى الشمال وتفصل بينهم وبين الرباطاب والمناصير قبيلة أخرى فانّ روايتهم تتضمّن بعض مغامرات أبى زيد فى طريقه الى تونس وتتلخص المغامرات فى:

(أ) اطلاق سراح أبى زيد لفتيات بعد محاربة وقتل يهودى كان قد القى عليهنّ القبض وعلّقهنّ من شعرهنّ فى قصره .

(ب) قتل أبى زيد لعبد قتل سلطانه وأراد أن يتزوج ابنة السلطان، واعادة أبى زيد الملك لابن السلطان .

ونلاحظ أنّ هذه التغريبة عند هذه القبائل ذات نفس قصير وتركّز على قصة لعب حسن وضياب للسيجة (وهى شبيهة بالشطرنج) ،وقصة اهداء حسن لجارية هلالية (مى) لمجموعة من الأعراب أو عربى شحاذ، وقصة مى وعزيزة وارسال عزيزة لجبر بقطع من الذهب لنجد ولعب جبر وحسن للسيجة ،ووصف جبر لبلدة تونس ممّا شوّق الهلاليين لها ، وسفر أبى زيد الهلالى مصحوبا بأبناء أخته الثلاثة : يونس ويحى ومرعى،وقصة يونس وعزيزة ابنة الزناتى،وقتل عبيد الجنايين (الجلايب) ليحى وسجن أبى زيد ومرعى بعد قتالهما لعبيد الجنايين ثم اطلاق سراحهما بعد توسّط عزيزة ،ثم سفر أبى زيد ومرعى وموت مرعى ملدوغا فى بئر،وعودة أبى زيد دون أبناء أخته ،وارسال أبى زيد لفتيات كنّ قد قابلنه خارج بلده لأخته شيحه ،وحيلة شيحه فى انقاذ حياة أبى زيد بدعوة فرسان الهلالية بعد أخذ الأسلحة منهم لأكل حبوب ذرة مسلوقة ،ثم حضور أبى زيد وسطهم ورميهم ايّاه بحبوب الذرة وكانوا قد قالوا له قبل سفره إن عدت من غير من صاحبوك ضربناك بما فى أيدينا . وكانت ايديهم تقبض السلاح دائما . ويحكى لهم

أبو زيد عن تونس . وتنتهى معظم الروايات بجملة واحدة مفادها أنّ الهلاليين يغادرون اليوم التالى الى تونس ويعيشون فيها .

وهناك قصص قصيرة جدا تروى منفصلة كمبارزة أبى زيد والزناتى ويمكن النظر فى مضمونها فى الاطار العام للتغريبة المشابهة للتغريبة العربية .

وتروى التغريبة نثرا يتخلّلها أحيانا أبيات شعرية . أمّا عند الرشايدة فهى تروى شعرا وبمصاحبة آلة الربابة الموسيقية . ونلمح فى أجزاء السيرة هذه أقلمة محلّية واضحة فى بعض الأجزاء . أمّا فى غرب السودان حيث تنتسب معظم المجموعات القبلية الى بنى هلال فنجد روايات عن أبى زيد الهلالى تختلف اختلافا بيّنا عمّا هو شائع فى سائر البلاد العربية . فهى تتفق على أنّ بنى هلال وفدوا من الجزيرة العربية عن طريق شرق السودان ثم عبروا النيل الأزرق والنيل الأبيض الى غربه ومن هناك واصلوا الرحلة الى تونس . وقد صاغ عبد المجيد عابدين من الروايات التى جمعها ماكمايكل[٢٠] وأضاف هو اليها اثنتين، صاغها على هيئة مترابطة لتعبّر عن " التغريبة السودانية " لبنى هلال، فى حين أنّ الروايات تروى فى كل الحالات منفصلة ودون ربط بينها . وبالتالى فانّنا (لا نستطيع الاعتماد الكلّى على ما يقدمه (عبد المجيد عابدين) خلاصة للروايات السودانية عن " التغريبة " كشىء يمثل النسق المحلّى السودانى للهلالية).[٢١]

يدرس حريز السيرة الهلالية فى السودان فى نمطها الشائع فى البلدان العربية دراسة أدبية فيذكر أنّ انتشارها فى كثير من أجزاء السودان المستعرب يرجع الى أنّ أبا زيد يجمع بين العروبة والافريقية اضافة لكونه شجاعا وباسلا وشريفا وفاضلا . فالمستعربون فى السودان الشمالى ـ كما يذهب حريز ـ عرب أفارقة ينتمون الى كلا العرقين ويجمعون بين ملامح ترجع للثقافتين العربية والافريقية معا . وأبو زيد يعنى لهم الكثير ويحل التناقض الذى يعيشونه فى العقل الباطن بين العالمين العربى والافريقى ولهذا فهم يجدون ذاتهم فيه ويحققون عن طريقه نوايا ورغبات اللاّوعى، ممّا يخلق درجة من التعادل

بين الثقافتين المختلفتين ينتهى عندها الاصطدام بينهما. ويذهب حريز الى القول باحتمال أن تكون قصص أبى زيد الهلالى قد لعبت دورا مشابها وسط المصريين ذوى البشرة الداكنة فى الصعيد.[٢٢]

اذن فحريز يركّز فى قصة أبى زيد الهلالى على شخصية أبى زيد نفسه ويرجع انتشار القصة الى أنّ أبا زيد يجمع بين الافريقية والعروبة. ولكن السيرة الهلالية منتشرة أيضا بين الشعوب العربية ذات السحنة البيضاء، ممّا قد يحملنا على التفتيش على سبب أقوى لانتشارها من مجرّد جمع أبى زيد للافريقية والعروبة. ونقدّر أنّ انتشارها بين الشعوب العربية ذات السحنة البيضاء يعود الى ربطها بين البطولة والسمار أو السواد، فالسواد "يضفى رونقا خاصا يزيد من تأثيرها فى نفوس الناس. وكانت الفكرة اللاّصقة بأذهان العرب عامّة أنّ السود أشدّاء عرفوا بالبطولة والجلد وتحمّل الآلام.[٢٣] وربما عاد انتشارها ليس الى شخصية أبى زيد نفسه ولكن الى ما تمثله هذه الشخصية من قوة وشجاعة واقدام وفضائل وقيم أخلاقية.

ونلاحظ أيضا أنّ أبا زيد ليس هو البطل الوحيد الذى يربط رباطا وثيقا بين القارة الافريقية وبلاد العرب وانّما يشاركه فى ذلك أبطال أخر كعنترة العبسى وسيف بن ذى يزن. فعنترة، كما نعلم، ذو أب عربى وأم حبشية من بلاد النجاشى وقد شاء مؤلّفو السير أن يجعلوه بطلا من أبطال الاسلام محاربا فى آسيا ومحاربا فى افريقيا مع أنّه لم يدرك الاسلام. وسيف بن ذى يزن عربى ايضا ولد فى افريقيا وهو اسمر اللّون كعنترة وقد حارب فى بلاد العرب وفى بلاد الحبشة والسودان وهو فى الصورة التى رسمها له رواة سيرته ايضا، ينشر الاسلام ويجاهد فى سبيله. وتمتزج اعمال البطولة فى سيرة الفرسان الثلاثة بمواقف الحب ويبرز كلّ واحد منهم كقادر على تحمّل الكفاح فى سبيل محبوبته.

اذن يشترك عنترة وسيف مع أبى زيد فى كونهما عربيين متأفرقين أو افريقيين متعرّبين وفى البطولة وفى الشجاعة والاقدام فى تحمّل آلام الحب. ورغم ذلك فقصصهما ليست منتشرة ومتداولة فى دان الشمالى. ولعلّ الاشارة الوحيدة لعنترة تتمثل فى "سيف

الصاقعة" حين يصف شخص ما سيفا بالحدّة والرهافة والمضاء والقوة الخارقة ،ذلك لأنّ الرواة يتحدثون عن سيف عنترة الذى هبطت به صاعقة من السماء وخلفه على الأرض فأصبح يضرب به المثل.[٢٤] بل أنّ سيرة على الكرّار (على بن أبى طالب) رضى الله عنه تنتشر أكثر منها وسط النوبة والمحس والدناقلة وهى تحكى بالشعر بطولات سيدنا على وصولاته وجولاته فى الحروب . ولعلّ انتشار هذه السيرة وسط هذه المجموعات بالذات يعود للأثر الشيعى الذى اندثر ولم يبق له أثر سوى السيرة نفسها والاحتفال بليلة عاشوراء وشيوع أسماء الحسن والحسين وفاطمة .

لقد ركّز حريز فى تحليله على قصة واحدة من قصص أبى زيد وهى القصة التى روتها امرأة من قبيلة المناصير فى الاقليم الشمالى وهى شبيهة كما ذكرنا برواية الدناقلة والرباطاب فى نفس الاقليم . ولم يشمل التحليل القصص المروية عن أبى زيد فى غرب السودان وهى قصص لا تركّز على أبى زيد وانّما على أخ له تسمّيه احمد.

ونتوسع فى هذه النقطة فنقول: من اللاّفت أنّ الروايات المماثلة للنمط الشائع فى البلاد العربية والمنتشرة وسط قبائل مستقرّة على ضفاف النيل كالدناقلة والمناصير والرباطاب تذكر صراحة سواد لون أبى زيد بينما تغفل ذكر اللّون روايات غرب السودان. ففى رواية الدناقلة يجيب أبو زيد على سؤال الخليفة زناتى فى أول لقاء لهما معرّفا نفسه "أنا عبد أبكم (لا أحسن الكلام)، أسأل الورى (الذين خلفى)" يقصد أبناء أخته سيحه.[٢٥] وفى رواية المناصير يسأل أبو زيد الفتيات الصغيرات اللاّئى لقينه عند عودته الى نجد فتقول ثالثتهنّ: "أنا بت أبو زيد فيقول لها أبو زيد: "بت أبو رزق بت أبو ريا أزرق سلامه الأزرق؟" فتعلّق البنت على كلمته الأخيرة – وهى لا تعرفه – قائلة " كان ما فيك شبه ابوى يادا الراجل الاّ ادّيك كلاما يبكّيك لى حولك (اذا لم يكن فيك شبه ابى يا هذا الرجل لقلت لك كلاما يجعلك تبكى لحول كامل).[٢٦] فهى تعرف أنّ أباها أسود اللّون والرجل الذى تخاطبه أسود اللّون كذلك ولعلّها – وهى الصغيرة – أحسّت أنّ فى كلمته الاخيرة – الأزرق – نوعا من الاساءة. فألوان البشر تتدرّج فى مصطلح

اللّغة العامّية السودانية من الأبيض الى الأصفر الى الفاتح (أو القمحى) الى الأخضر الى الأزرق وفى تطرّف اللّون مدعاة ـ فى حالة الغضب ـ للاساءة. فالأبيض حلبى (غجرى) والأسود عبد. وفى رواية الرباطاب يصل عزيزة خبر سجن أبى زيد الهلالى ويحى بعد محاربتهما لمن قتلوا مرعى والقاء القبض عليهما فترسل لأبيها ليطلق سراحهما فيقول لها أنّ العبد والولد قتلا أناسا كثيرين ولن يطلق سراحهما خاصة العبد لأنّ أرجله غبشاء اللّون من كثرة ركوب الخيل ورأسه أصلع من كثرة لبس الخوذة. لكنّها تقنعه بأنّ لون رجليه من أثر القيد وصلع رأسه من أثر حمل قادوس الماء، أى أنّه عبد لا يحسن الكر والفر وانّما يحسن عمل العبيد كحمل الماء وإن لم يجيده عوقب بالقيد والضرب.[٢٧] وفى رواية الرشايدة تذكر عزيزة نفس الشىء، أى أنّ أبا زيد عبد لا يحسن القتال.[٢٨]

ولا تشير الروايات التى جمعها ماكمايكل من غرب السودان فى عام ١٩٠٨م الى سواد لون أبى زيد الهلالى، ولا تذكر ذلك ضمنا أو صراحة وانّما تركّز على عروبة أبى زيد. فهو شيخ عربى،[٢٩] وهو من قبيلة الهلالية العظيمة.[٣٠] بل أنّ من ينتسبون الى الهلالية من القبائل فى غرب السودان كالفور والمسبعات وغيرهم ينتسبون الى شقيق أبى زيد ويدعى فى بعض الروايات احمد. يصف راو هذا الشقيق بأنّه "عربى لونه جميل ومشعر (أى منسدل الشعر كثيره)".[٣١] رواية واحدة تقول بأنّ أبا زيد الهلالى واحمد المعقور شقيقان من أب واحد وأم واحدة.

ومن الملاحظ أنّ صفة السواد أطلقت فى احدى الروايات التى جمعها ماكمايكل على السكان الأصليين ومنهم الجنود التابعين للسلطان شاودورشيد، الذى تزوج احمد المعقور ابنته فيما بعد. بل إنّ رواية تذكر أنّ هذا السلطان لم يكن مثل قومه أسود اللّون وانّما "كان لون بشرته فاتح السمرة[٣٢] حتى شبّه بلون جراد الصحراء الذى يعرف باسم جراد الشاو[٣٣] وعزت الرواية هذا اللّون الى أنّ دماء رومانية (وفى رواية أخرى اسبانية) كانت تجرى فى عروقه.[٣٤]

اذن فليس صحيحا ما ذكره محمد بن عمر التونسى أنّ عامّة أهل

دارفور يرجعون فى انسابهم الى أبى زيد الهلالى .[٣٥] وانّما هم ينتسبون الى الهلالية عن طريق احمد المعقور.

× × × × × × ×

لعلّ من اوائل الروايات المجموعة من غرب السودان تلك التى جمعها ماكمايكل فى عام ١٩٠٨م وضمّنها فى شكل ملحق ـ كتابه عن قبائل شمال ووسط كردفان .

ومن المؤسف أنّ هذه الروايات التى جمعها ماكمايكل فى عام ١٩٠٨م جدّ مختصرة لا تتعدّى كلّ منها ـ ماعدا السادسة ـ بضعة أسطر. أمّا السادسة فتقع فى حوالى الصفحتين. ومن الواضح أنّ ذلك يرجع للطريقة التى اتّبعها ماكمايكل فى الجمع وهى تعتمد كما فى كل الروايات الخاصة بالأنساب التى جمعها،على الاستماع ثم التدوين لأهم ما ورد فى الرواية تاركا التفاصيل والتكرار،وهو سمة بارزة تلعب دورا مهما بالنسبة للراوى والجمهور. ولكننا نحمد لماكمايكل اهتمامه آنذاك بهذا الجانب القصصى (رغم اختلاف الهدف من الجمع بالنسبة له وهو الادارى البريطانى أيام الحكم الثنائى للسودان) ونحمد له توثيقه المقتضب لرواياته بذكر اسم الراوى وقبيلته ومكان الجمع وتاريخه.

وهناك ايضا الروايات المجموعة من قبائل الفور والمسبعات وغيرهم. وتنقسم الروايات التى تحكى عن الهلالية فى غرب السودان ـ كما لاحظ باحث من قبل ـ الى ثلاثة أنواع:

النوع الأول يذكر سبب تسمية ظاهرة طبيعية كجبل أو صخرة أو مكان باسم يرجع الى أبى زيد أو الزناتى مثلا.

والنوع الثانى فى شكل ألغاز ويسمّى أحجية قصيرة تمييزا لها عن الأحجية الطويلة (Folktale) ولكنّها تختلف عن اللّغز (Riddle) الذى يتكوّن من جملة أو جملتين عند الفور مثلا وتبدأ الجلسة الخاصة بالألغاز بالافتتاحية:"حاجياتى ما حاجياتكم" ثم يتبع ذلك اللّغز. فاذا عرف فرد من المجموعة الحل نطق به ثم تبع ذلك

لغز آخر. وإن لم يعرف أحد الحل يطلب صاحب اللّغز أن يمنحه الحاضرون مدينة من المدن قائلا: أعطونى دارا. فيقول واحد من أفراد الجمهور مثلا: أعطيناك مدينة كذا. فاذا قبل ذلك انتقل المجلس الى لغز آخر.[٣٦]

وأحاجى أبى زيد ترمى أولا الى اثبات الحكمة والذكاء الى عرب الهلالية عامّة. من ذلك ،مثلا، أبا زيد تزوج امرأة من قبيلة البقارة ولدت له ولدا اسمه بريقع. فكبر هذا الابن وأصبح صبيا يرعى البقر. أرادت المرأة الطلاق والرجوع لأهلها فاشترط أبو زيد لطلاقها حلّ أربعة الغاز (وسمح لها بالاستعانة بأهلها فى الحل) وهى عن أبيض البيضات وأبرد الباردات وأحلى الأكلات ،والزريبة ردم. فقال أهلها إنّ حل ذلك - بالتوالى - هو: اللّبن،ظل شجر الجوغان، (وهو شجر معين ينبت فى خور معين) وعجينة الزرقاء (وهى خلطة من العسل والسكر والدقيق) وزريبة الكتر (وهو شجر شائك غزير الأغصان). وفى طريق العودة لقيت المرأة ولدها وهو يرعى الماشية فسألها على الحل فأخبرته فقال لها: إن سمع الهلالية ذلك ضحكوا عليك وعلى أهلك فالحل هو:

أبيض البيضات : قمر سبعتين (قمر ١٤) فوق نجومو بات
وأحلى الأكلات : اندريشه (الذرة يدرش ويبل بالماء). صادفت جوعات (المفرد: جائع).
وأبرد الباردات : ض (ظل) السحاب كن (كان) بات .
والزريبة ردم: ده الدور أولاد العم (الذى هو عم) الزول (الشخص) دوره عامر (أهله كثر).

وعندما سمع أبو زيد الحل سألها إن قابلت بريقع فأنكرت . فجمع قومه للهجوم على قبيلة زوجه لأنّهم خطفوا بريقعا واستعانوا به على الحل. وعندها اضطرت المرأة وأقرّت بالحقيقة. فقال لها أبو زيد: "أهلك وين يلقوه (أين يجدون) الكلام ده؟ أقعدى حيوان ضمن الحيوانات".[٣٧] فهى وأهلها أقل ذكاء.

وتثبت رواية ثانية صفة الذكاء لأحد أبناء أبى زيد وإثبات

هذه الصفة تنفى عنه تهمة أنّه ليس ابنا حقيقا لأبى زيد. فعندما كان أبو زيد وبعض الأعراب فى رحلة فى الصحراء رأوا غزالا واصطادوه ثم بدأوا يبحثون عن ماء. ولم يكن فى تلك الناحية من الصحراء غير شجرة واحدة تركوا الولد وجمالهم تحت ظلّها فأخذ الولد سروج الجمال وأوقد نارا شوى عليها الغزال وصنع من فروع الشجرة المخضرّة سروجا جديدة. ولمّا عاد الرجال أعجبوا بذكاء الولد وقالوا لأبى زيد إنّه فعلا ابنك لأنّه ذكى ولولا ذكائه لما استطاع أن يقوم بما قام به.[٣٨]

ويختبر أبو زيد أيضا ذكاء ابنه بريقع بما يؤهله للزعامة فيسأله عمّا هو جمال البقر والنساء والعيش (الذرة) فيجيب بريقع:

سماح البقر قرون.
وسماح العينين مقابل وسنون (جمال طلعة).
وسماح العيش جرون (أكوام ذرة).

فيخطّئه أبو زيد فالحل الصحيح هو:

سماح البقر يجن شوايل (تأتين ذوات لبن).
وسماح العينين تقايل (أخلاق).
وسماح العيش حاول يلاقى حاول (محصول عام يبقى حتى يحصد محصول العام القادم).

فهو ينصحه بطريقة غير مباشرة بأن يكون حريصا على أهم ما تتطلّبه حياة العرب الرّحل: اللّبن والذرة ثم أخلاق المرأة، والتى تدور حولها عند العرب قصص كثيرة حول الكرامة والشرف.[٣٩] ولهذا فليس غريبا أن نجد أبا زيد يثنى على معيشة شاب واحد من ثلاثة شبان سألهم عن معيشة دنيتهم وكانت اجابة الذى أثنى عليه تقول: إنّى من قم (نشأت) نفسى بديرها (استطيع توجيهها)، بت عمّى الأنا (الذى أنا) نهيرها (مؤدبها) بحرام ما دبيت (ذهبت متلصصا لـ) سريرها، نهار اموت تفرتق (تنقض) لى ضفيرها (ضفائرها)."[٤٠]

أمّا النوع الثالث من القصص التى ترتبط بأبى زيد فى غرب السودان فهو يوضح كيفية انتساب قبيلة أو أخرى للهلالية امّا عن طريق أبى زيد أو أخ له اسمه احمد أو أخت له وتدعى تولوقية

(Tollogega)• وتتضمّن هذه القصص أحيانا شيئا من الرومانسية كقصة حب حفيد أبى زيد لأميرة غير عربية •

لعلّ انتشار هذا النوع من القصص يعود الى اعتبار كلّ من أبى زيد وأخيه احمد بطل ثقافة (Culture Hero) ووسيطا بين نقيضين • فأبو زيد الهلالى يلاحظ أنّ ناقة واحدة مليئة الجسم ليست ككل ابل بنى هلال، التى أصابها الهزال من جرّاء القحط الذى أصاب ديار بنى هلال • فيسهر طول الليل مراقبا ليكتشف أنّها تذهب لواحة خضراء (تونس) لتأكل ثم تعود • فيقود أبو زيد بنى هلال فى اليوم التالى الى حيث العشب والكلأ•

ويلعب احمد دورا مماثلا تقدّم له قصتان: واحدة عن شاودورشيد ملك الفور والأخرى عن قصة احمد مع اخيه أبى زيد وزوج أبى زيد• وكلاهما يهيئان ذهن جمهور المستمعين الى دور احمد ولترسيخ الفكرة التى تعتبره وسيطا بين الجوع والشبع•

فشاودورشيد يخرج ورجاله فى طواف على سلطنته ويصيبه جوع شديد فيقول: اذا رجعنا الى القصر واحضرّت أىّ من أزواجى أكلا أشبعنى جعلت واحدا من أبنائها خليفة لى يرث السلطنة من بعدى • وعندما عاد دخلت عليه خادم لها ابنة تدعى خيره ودسّت فى يده قرصا من الدخن بالعسل دون علم احد• وعندما أتت أزواجه بالأكل الطيب وجدنه شبعان • وهكذا أصبحت خلافة السلطنة فى بيت أم خيره•

وأبو زيد وزوجه وأخوه يستبد بهم الجوع – فى رواية ايضا– فى رحلتهم• فيطلب أبو زيد من أخيه أن يبقى مع زوجه ويذهب هو فى طلب الطعام• وتراود الزوج احمد فيرغب عنها• وعندما يعود أبو زيد تخبره بأنّ أخاه رغب فيها ورغبت عنه• فيعرقب أبو زيد احمد ويتركه ليجده فيما بعد رجال السلطان دورشيد•

وقد لاحظ احمد المعقور أنّ حاشية الملك شاودورشيد عندما يأكلون لا ينتظرون مجيء الأكل كلّه – وهو عبارة عن عصيدة فى قدح، وانّما يأكلون ما فى قدح ثم ينتظرون قدحا آخر دون أن يشبعوا• فطلب منهم احمد الانتظار حتى تجمع كل الأقداح ثم طلب منهم – حين

جمعت – أن يغسلوا أيديهم ويسمّوا الله. ففعلوا،ووجدوا أنّهم – لأول مرّة – يشعرون بالشبع،بل ويبقى جزء من الأكل فى الأقداح. فحدّثوا السلطان بذلك . وطلبه السلطان فمثل بين يديه فقال السلطان انّه يأكل ولا يشبع فما كان من احمد الاّ أن أخبره أن يسمّى الله ففعل وشبع وكافأه السلطان بأن جعله مسئولا عن الطعام فى القصر .

وفى رواية أخرى أنّ شاودورشيد سأل احمد عن حرفته فأجاب أنّه يربى الخيول ويصنع أدواتها. فجعله الملك مسئولا عن خيوله يطعمها ويرعى احوالها ثم زوجه فيما بعد ابنته خيره ، التى ولدت له ابنا اسمه سليمان سولونق أى سليمان العربى .

فالاطعام من الجوع مرتبط بالهلالية متمثلة فى أبى زيد أو أخيه احمد أو من ارتبط بهما كخيره ابنة السلطان شاودورشيد التى تزوجها احمد وأنجب منها سليمان . ولعله ليس من قبيل الصدف أن يكون اسم ابنة شاوذورشيد – خيرة – مرتبطا بالخير وأن يكون اسم احمد مرتبطا بالثناء والحمد للّه على نعمه ومنها الطعام.

وبتمام اسلمة السلطنة الدارفورية وبالتالى اطلاعهم على القرآن الكريم فليس من المستبعد أن تكون قصة زوج أبى زيد الهلالى التى حاولت اغراء احمد وبالتالى فرّقت بينه وبين أخيه أبى زيد،ليس من المستبعد أن تكون انعكاسا لقصة سيدنا يوسف عليه السلام مع زوج فرعون (أو ربما متأثرة بقصة الأخوين الفرعونية والتى حاول بعض دارسى الأديان المقارنة الرّبط بينها وبين قصة سيدنا يوسف). وممّا يقوّى هذا الاحتمال أنّ احمد كان جميلا كسيدنا يوسف فقد وصفته رواية من الروايات بالجمال. وذهبت الثانية منهما الى أنّه كان آية فى الجمال . كما أنّ أخاه تركه وتابع سفره الى تونس بعد أن عرقبه بسبب وشاية الزوج. وعندما وجده رجال الملك شاودورشيد أعجب به الملك وجعله وكيلا على خزائنه . وتقول رواية أن احمد استلم السلطة بالوكالة الى أن تضع زوج الملك وكانت حاملا ولكن احمد ارسل الى أخيه أبى زيد خطابا يطلب منه فيه أن يأتى ومعه الفا فارس .

ويتجاوز دور احمد المعقور الوساطة بين الجوع والشبع الماديين، بين الندرة والوفرة، ليكون ايضا بين الفقر الروحي "الوثنية" والاشباع الروحي بدين سماوي "الاسلام". فالمعقور يطلب منهم أن يسمّوا الله قبل بداية الأكل فيفعلون ويشبعون مع أنّهم كانوا يأكلون نفس الكمية متفرّقة ولكن الأكل الآن مبارك. والتسمية مظهر من مظاهر الدين الجديد بالنسبة لهم الذى جلبه احمد المعقور. فقد كان الأهالى - حسب رواية - لا يعرفون يومئذ شيئا عن الاسلام ولكنهم سمعوا به. فعمل احمد على نشره بينهم فوجدوا فى الدين الجديد عقائد أخروية تمثل تحوّلا جذريا جديدا عن العقائد التقليدية. فالاعتقاد بحياة ينال فيها الانسان الثواب والعقاب على اعماله التى عملها فى هذه الحياة اعتقاد غريب بصورة عامّة على الأديان الافريقية ودخول هذا الاعتقاد مع الاسلام يعطى أساسا جديدا لتقويم الأخلاق.[٤١]

ولنفهم أكثر هذا الجانب لابد من ايراد رواية سمعها راو مغربى توفى عام ٥٩٣هـ هو أبو العباس احمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخى عن اعتناق ملك من ملوك الزغاوة فى غرب السودان حيث تنتشر الروايات من الهلالية، الاسلام قال إنّ

"يحى النفوس سافر الى بلاد السودان فألفى ملكهم ناحل الجسم ضعيف القوى فقال له: ما بك؟ قال: خوف الموت. قال: فأخبرته عن الله وصفاته سبحانه والجنّة والنار والحساب وما أعدّ الله للمطيع والعاصى. فكذبنى وقال: لو صحّ عندك ما تقول لما بلغت الينا تطلب الدنيا. فمازلت أذكر نعم الله وآلائه حتى أسلم وحسن اسلامه.[٤٢]

ومن الملاحظ أنّ النوع الثانى من القصص التى تروى عن أبى زيد - وهى فى شكل ألغاز كما ذكرنا - يدور معظمها حول الطعام الرغد (اللبن أو البقر) الذرة (أو الدقيق)، السكر، العسل، أو ما هو مرتبط بالوفرة (الظل الظليل أو الشجر غزير الأغصان) أو ما هو ايجابى كالقمر المكتمل ويعنى الضوء وهو ضد الظلام والمرأة الجميلة والجمال ضد القبح.

ولكن عندما يكون أبو زيد - وهو الوسيط الى الوفرة والحياة الرّغدة- رمزا للضعف والهزال يصبح مرفوضا ولا يقبل الاّ بعد أن يستعيد كامل صحته وعافيته.

ففى تونس - كما جاء فى رواية أخرى - وقع أبو زيد فى حب فتاة كانت تقيم بقرب مخيمه مع أهلها فى الصيف وطلب منها الزواج. ولكنها طلبت منه أن ينتظرها تحت شجرة قرب المخيم وعرّفته أنّها ستعود اليه. وغادرت مع أهلها لمراع بعيدة وعادت مع قومها بعد سنة لتجده منتظرا فى نفس المكان. فعرفت أنّه صادق فى حبه وأرادت الزواج منه. ولكن بعض اهلها عارضوا ذلك اذ لا فائدة فى رجل صام تحت شجرة لمدة سنة. ولكن أبا يزيد استطاع أن يدحض حجة معارضيه فقد عاش على اللّحم واللّبن لمدة خمسة عشر يوما وفى نهاية المدة ظهر مرة أخرى فى كامل قوته وشجاعته وتزوج محبوبته.[٤٣]

ولعلّ دور أبى زيد واحمد كوسيطين بين الجوع والشبع، بين الندرة والوفرة، هو الذى يفسّر لنا رواية أخرى عن حب حفيد أبى زيد لأميرة بينما كان فى حروب مع أهل البلاد الأصليين فى تونس. فقد أمر بحفر حفرة عميقة وبناء قبّة فوق الحفرة التى ملئت لبنا. وكان كل من مرّ بجانبها ظنّ أنّها مزرعة البان. ولكن حفيد أبى زيد وضع كنبة عالية الأرجل فوق سطح اللّبن ومارس هو والأميرة الحب عليها دون شك أو ريب من أحد.

فعند الوفرة (اللّبن) يصبح حفيد أبى زيد الهلالى وسيطا أيضا بين الجوع الجنسى والاشباع الجنسى. ولعلّ هذا هو السبب الذى جعل احمد يرفض معاقرة زوج اخيه فقد كان أبو زيد وزوجه فى حالة جوع وفى حوجة ماسّة للطعام. والانسان لا يلتفت للجنس الاّ بعد شبع.

ومن الملاحظ أنّ المرأة التى تحاول غواية احمد "غريبه" ليست من بنى هلال. ففى رواية أنّ أبا زيد كان يحبها حبّا شديدا وعزّ عليه أن يتركها استجابة لشرط عام ارتضاه الهلاليون بألاّ يأخذوا معهم غير أزواجهم ذوات القربى فى هجرتهم لتونس. ولهذا خبّأها فى هودج.

أمّا عندما تكون المرأة من بنى هلال فانّها تلعب فى القصص المرتبط بأبى زيد دورا مختلفا. فاذا كان الفور ينتسبون الى احمد المعقور فانّ مجموعة قبائل تعرف باسم دار حامد تنتسب الى الهلالية عن طريق اخت أبى زيد التى تاهت فى الصحراء،عندما غادر الرّكب الى تونس بقيادة أبى زيد،وعاشت مع الصيد. وبينما كان حامد (وهو الجد الذى تنتمى اليه دار حامد وتضم مجموعة قبائل) ومعه بعض الرجال يصطادون،يشاهدون الفتاة ويطاردونها بخيولهم ولكنّها تسبقهم. فلا يستطيعون اللّحاق بها. وعندما يعودون ادراجهم يستشير حامد امرأة عجوزا فتقول له: أوقد نارا وضع بجانبها صحنا مليئا بالدهن فستأتى الفتاة وتمسح جسمها بالدهن وعندها لن تستطيع الجرى لأنّ عضلات جسمها سترتخى. فيفعل حامد بنصيحة المرأة العجوز ويعود بالفتاة وكانت فتاة جميلة " مرا فى عوين الدنيا كلّهم مافى" (ليس مثل جمالها امرأة فى الدنيا). فيرغب فيها اخوه ويتزوجها. وعندما يريد حامد توزيع الثروة بينه وبين اخيه ليوسم كلّ منهما نصيبه تخرج تولوقيقة ليلا وتوسم معظم الابل بميسم زوجها. وهكذا تؤول أكثرية الثروة اليه.

وبالنظر فى قصة تولوقيقةأخت أبى زيد الهلالى نجد عدة مقارنات بينها وقصة احمد المعقور. فتولوقيقة (انثى) فقدها أخوها (أبو زيد) وعاشت فى الصحراء،وكذلك احمد (ذكر) عقره اخوه (ابو زيد) وتركه فى الصحراء. واحمد يداوى جرحه بالنار وصب السمن عليه ويستطيع فيما بعد السير بعد أن كان عاجزا وتولوقيقة تمسح جسمها بالدهن الموضوع بجانب النار فترتخى عضلات جسمها ولا تستطيع الجرى سريعا مرّة أخرى.

واحمد وتولو قيقة يعثر عليهما رجال خرجوا للصيد. وكلاهما يوصفان بالجمال الشديد. واحمد يتزوج خيرة ويورث الملك لابنه وتولوقيقة تتزوج أخ حامد ويصبح هذا الأخ بمساعدة زوجه مالكا لمعظم الثروة الحيوانية (الابل).

وهكذا فانّ القصص الهلالية فى غرب السودان تختلف عمّا هى عليه فى شمال السودان حيث تسود قصة مختصرة مشابهة لسيرة أبى زيد

فى نمطها الشائع فى البلاد العربية. وقصص غرب السودان عند تحليلها بنائيا تكشف عن تركيز على شخصية احمد المعقور (وهو فى روايات اخ لأبى زيد) واحيانا على أبى زيد كوسيط بين الشبع والجوع، بين الوفرة والندرة، بين الاشباع الروحى (الاسلام) والفقر الروحى (الوثنية).

× × × × × × ×

إنّ الهلالية فى السودان - تأريخا وأدبا - تستأهل مزيدا من البحث والدراسة. ولعلّ الاسهامات الحالية - ومنها هذه المقالة المتواضعة - تثير الرغبة لدى الباحثين والدارسين فى هذا الموضوع الخصب.

الهوامش

* قدّمت هذه المقالة - دون الملحق - للمؤتمر الدولى للسير الشعبية العربية تحت رعاية جامعة القاهرة بالتعاون مع الجمعية الدولية لدراسة حضارات البحر الأبيض المتوسط المنعقد فى القاهرة فى الفترة من ٢ الى ٧ يناير ١٩٨٥م.

(١) ابراهيم اسحق ابراهيم، "السيرة الهلالية فى دارفور: دراسة تطبيقية فى مناهج المؤرخين العرب والتراث الشفاهى"، رسالة ماجستير فى الفولكلور، قسم الفولكلور، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، ١٩٨٣.

(٢) عبد المجيد عابدين، "أثر الهلالية فى السودان"، المجلّة (القاهرة) م ٧ ع ٨٨، ١٩٦٣، ص ١٦-١٩.

(٣) سيد حامد حريز، "العلاقات العربية الافريقية فى الحكايات الشعبية السودانية، مجلّة الثقافة السودانية م ١، ع ١، ١٩٧٦ م ص ١٠-٣٠.

(٤) المقريزى، البيان والأعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب. تحقيق: عبد المجيد عابدين (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٦١) ص ١٥١.

(٥) نفسه، ص ١٥٢.

(٦) يوسف فضل حسن، مقدمة فى تاريخ المماليك الاسلامية فى السودان (الخرطوم: الدار السودانية، ١٩٧٣م) ص ١٥٩ ٠

(٧) عبد المجيد عابدين فى المقريزى، المرجع السابق، ص ١٣٠-١٣١ ٠

(٨) نفسه، ص ١٤٦ ٠

(٩) نفسه، ص ١٤٧ ٠

(١٠) عبد المجيد عابدين (١٩٦٣م)، ص ١٧ ٠

(١١) انظر مثلا:

P.M. Holt, Fung Origins: A Critique and New Evidence" Journal of African History, (London), 1V (1), 1963, pp. 39-55.

(١٢) ابراهيم اسحق، المرجع السابق، ص ٣٨٨ ٠

(١٣) نفسه، ص ٣٨٤ ٠

(١٤) نفسه، ص ٣٢٣ ٠

(١٥) عبد المجيد عابدين (١٩٦٣)، المرجع السابق ص ١٨-١٩ ٠

(١٦) عبد المجيد محمد احمد والفاضل طه عثمان ومحمد سعيد احمد، من أدب الدناقلة: الأحاجى والأساطير (الخرطوم: مصلحة الثقافة، د٠ ت) ص ٢٥-٣١

(١٧) الطيب محمد الطيب وعبد السلام سليمان وعلى سعد، التراث الشعبى لقبيلة المناصير، سلسلة دراسات فى التراث السودانى (٨) (الخرطوم: شعبة ابحاث السودان "معهد الدراسات الافريقية والآسيوية حاليا" جامعة الخرطوم، ١٩٦٩م) ص ٣٢-٤٣ ٠

(١٨) عبد الله على ابراهيم واحمد عبد الرحيم نصر، من أدب الرباطاب الشعبى، سلسلة دراسات فى التراث السودانى (٤) الخرطوم، شعبة ابحاث السودان "معهد الدراسات الافريقية والآسيوية حاليا" جامعة الخرطوم، ١٩٦٨) ص ٤٢-٤٦ ٠

(١٩) عبد الله احمد الحسن، التراث الشعبى لقبيلة الرشايدة، سلسلة دراسات فى التراث السودانى (٢١) (الخرطوم: شعبة أبحاث السودان "معهد الدراسات الافريقية والآسيوية حاليا" جامعة

الخرطوم، ١٩٧٤م) ص ١٠٩-١١٣ ٠

(٢٠) H.A.MacMichael, The Tribes of Northern and Central Kordofan (London: Frank Cass and Co., 1967) pp. 231-234.

(٢١) ابراهيم اسحق ابراهيم، المرجع السابق ، ص ٩٩ ٠

(٢٢) سيد حامد حريز، المرجع السابق، ص ١٤-١٥ ٠

(٢٣) عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية فى السودان (القاهرة : مطبعة الشبكشى، ١٩٥٣) ص ٢٧٢

(٢٤) عبد المجيد عابدين، القصة الشعبية فى السودان: دراسة تحليلية تاريخية (الخرطوم : معهد الدراسات الاضافية، جامعة الخرطوم، ١٩٦٤م) ص ١٩-٢١ ٠

(٢٥) عبد المجيد محمد احمد وآخران، المرجع السابق، ص ٢٩ ٠

(٢٦) الطيب محمد الطيب وآخران، المرجع السابق، ص ٣٨ ٠

(٢٧) عبد الله على ابراهيم واحمد عبد الرحيم نصر، المرجع السابق، ص ٤٥ ٠

(٢٨) عبد الله احمد الحسن، المرجع السابق، ص ٢٣١ ٠

(٢٩) ماكمايكل، المرجع السابق ، ص ٢٣٢

(٣٠) نفسه ، ص ٢٣٢ ٠

(٣١) آدم الزين، التراث الشعبى لقبيلة المسبعات (شرق مدينة الفاشر)، سلسلة دراسات فى التراث السودانى (١٠) (الخرطوم شعبة أبحاث السودان، "معهد الدراسات الافريقية والآسيوية حاليا"، جامعة الخرطوم، ١٩٧٠م) ص ٢٤ ٠

(٣٢) موسى آدم عبد الجليل وعبد الله خاطر، التراث الشعبى لقبيلة الفور، سلسلة دراسات فى التراث السودانى (٢٣) (الخرطوم، شعبة ابحاث السودان "معهد الدراسات الافريقية والآسيوية حاليا"، جامعة الخرطوم، ١٩٧٧م) ٠ ص ٦ ٠

(٣٣) نفسه ، ص ٩

(٣٤) نفسه ، هامش ٢ ص ٩ ٠

(٣٥) محمد بن عمر التونسى،تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان،تحقيق: محمود خليل عساكر ومصطفى محمد مسعد (القاهرة : المؤسسة المصرية العامّة للنشر،١٩٦٥م) ص ٣٦٩ ٠

(٣٦) موسى آدم عبد الجليل وعبد الله خاطر، المرجع السابق ص ١٥١، ١٥٢ ٠

(٣٧) فرح عيسى محمد، التراث الشعبى لقبيلة التعايشة ،سلسلة دراسات فى التراث السودانى (٢٩) الخرطوم ،شعبة الفولكلور، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية ،جامعة الخرطوم، ١٩٨٢ م) ص ٢٤٢-٢٤٤ ٠

(٣٨) شريط رقم م د أ أ/١٤١٢ الأرشيف الصوتى،قسم الفولكلور، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية - جامعة الخرطوم٠

(٣٩) فرح عيسى محمد، المرجع السابق، ص ٣٣٦-٣٤٥ ٠

(٤٠) نفسه ، ص ٢٣٣ ٠

(٤١) آى٠م٠ لويس "الحدود القصوى للاسلام فى افريقيا رأسيا" ترجمة : محمد زهير،تراث الاسلام (الكويت) المجلّد ٥٣، ١٩٧٨،ص ١٦١ -١٧٣ مقتبس من ابراهيم اسحق، المرجع السابق، ص

(٤٢) محمود اسماعيل، الخوارج فى المغرب الاسلامى (بيروت :دار العودة ١٩٧٦) ص ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧،مقتبس من ابراهيم اسحق، المرجع السابق ص

(٤٣) شريط رقم : (٢٦) أدب شعبى،مركز دراسة الفولكلور،وزارة الثقافة والاعلام ، الخرطوم ٠

ملحـــــق*

مقدمـــــة :

رصدنا الروايات ،منشورة كانت أم مطبوعة على الآلة الكاتبة، أو فى حالتها الصوتية ، التى تعنى بالهلالية فى غرب السودان وهى روايات يتفاوت تاريخها من القرن الثامن عشر وحتى يومنا الحالى. ثم أخضعنا هذه الروايات للمقارنة. وكان لابد من اختيار رواية تجرى عليها المقارنة ففضلنا واحدة ، (* *) ليس لأنّها معتمدة أو صحيحة أو صادقة وانّما لأنّها بدت لنا أكثر اكتمالا ممّا عداها. وكان فى الامكان اختيار أية رواية اخرى ممّا رصدنا. وقد أوردنا نص الرواية التى جرت عليها المقارنة كما هو بالعامّية السودانية ولم نشف اليه الاّ ما يشرح معنى المفردات ووضعنا ذلك بين قوسين.

ولقد آثرنا فى منهج المقارنة أن نشير الى أوجه الاختلاف فى المعلومات بين الروايات المختلفة بيد أنّنا لم نغفل الاشارة فى حالات التوافق والتطابق . أشرنا لكلّ رواية من الروايات وهى تبلغ الثلاثين برقم ثم أتبعناه ، ان كانت الرواية منشورة أو مطبوعة على الآلة الكاتبة ،برقم آخر يشير الى الصفحة التى جاء فيها وجه المقارنة ليسهل الرجوع الى المرجع الذى جاءت منه. نضرب مثلا لتوضيح ذلك : قلنا مثلا الرواية (٤:٥٣) فانّ الرقم (٤) يشير الى المرجع والرقم (٥٣) يشير الى رقم الصفحة فى ذلك المرجع. والروايات هى:

رواية على رزق[1]

رواية محمد عبد الله طوير[2]

---

* بذل الطالب /عبد المجيد احمدعبد الرحمن جهدا كبيرا فى مساعدتى فى اعداد هذا الملحق . فله شكرى .

** آدم الزين: التراث الشعبى لقبيلة المسبعات "شرق الفاشر"،سلسلة دراسات فى التراث السودانى (١٠) (الخرطوم : شعبة أبحاث السودان كلّية الآداب ،جامعة الخرطوم مارس ١٩٧٠) ص ص ١٢-١٨

رواية على سعيد تكنة[٣]
رواية ابراهيم محمد لومای[٤]
رواية الجبارى شنيبات عبد المالك[٥]
رواية عبد الله الرياس وعلى الرياس واحمد محمد شطة[٦]
رواية عبد الرحمن احمد ديدى[٧]
رواية عبد الحميد موسى مادبو[٨]
رواية ابراهيم محمد بلال[٩]
رواية على جاد الله عيسى[١٠]
رواية محمد آدم عبد الجليل[١١]
رواية الدود مهدى حسب الله وعبد الله محمد[١٢]
رواية اسحق امام حسن[١٣]
رواية السنوسى ضو البيت[١٤]
رواية آدم احمداى محمد[١٥]
رواية وادى على ابكـــر[١٦]
رواية احمد كنو[١٧]
رواية اشيز غنوى[١٨]
رواية الشيخ احمد محمد النعمان[١٩]
الرواية التى اوردها نعوم شقير عن اصل سلطنة الفـــــــور (بالعربية الفصحى)[٢٠]
رواية الشاعر ود العمرى[٢١]
الرواية التى اوردها جوستاف ناختيقال[٢٢]
رواية محمد ابراهيم[٢٣]
الرواية التى اوردها دى كادلفان فى يوسف فضل[٢٤]
الرواية التى اوردها سلاطين[٢٥]
الرواية التى اوردها يوسف فضل حسن[٢٦]
رواية جمعة بخيت[٢٧]
رواية السلطان حامد جبر الدار السبعاوى[٢٨]
رواية الكنانة[٢٩]
رواية مسر محمود فرحانى[٣٠]

نص الروايـــــة

أقول لك بقت ٠ دارفور زمان لغاية الـ ٨٠٠ الهجرية ،لغايـــة الا ٨٠٠ هجرية كان يحكم دارفور "شاودورشيد" شاودورشيد[٣١] يسكـــن شمال دارفور فى حتة (موقع) اسمها "عين فرح"[٣٢] هى بالتقريـــب ٣٠ كيلو،٣٥ كيلو شمال من الفاشر ٠

البلد دى ما كان فيها القبائل ديل كلّهم٠ كان أهلها :

(١) التنجر (٢) الداجو (٣) والفور انفسهم٠

باقى القبائل دى كلّها داخلة فى البلاد٠ عرب ٠ كلّهم من أولهم لآخرهم٠ باقى القبائل الخلاف الفور والداجو والتنجر كلّهم حضر عرب حضروا من محلّات نائية ٠ كيف انّه الناس دخلوا من محلّات نائية فـــى الـ ٨٠٠ من الهجرة٠ على حسب البحث الأنا بحثته ـ كان شاودورسيـــد موجود فى عين فرح فى ذلك التاريخ[٣٣] كانوا الفور والتنجر والداجو يروحوا للجهة الشمالية يصطادوا الصيد الاسمه الوحش٠ يشرمطـــوا الصيد (يقطعونه الى شرائح ويجفّفونه) بعد ما يكتلوه يشرمطـــوه ، يعملوه شرموط ،ناشف ويرجعوا بيه من هناك يجيبوه مقايظة (مقايضة) لأنّه ما كانش عندهم عملة٠ أىّ عملة ما عندهم٠ انت عايز عيش تـــدّى شرموط تاخذ عيش واحد عايز شرموط انت عايز عيش تدّى شرموط تاخـــذ عيش ٠ واحد عايز شرموط يدّى شطة لصاحب الشرموط وياخذ منه٠ مقايظة بيناتهم لأنّه ما كانش عندهم عملة ولذلك فى كل سنة يروحوا الصحراء ويكتلوا الصيد دا بروح عدد كبير ويهاجروا للحركة دى ويجيبـــوا الحاجات دى هناك ٠ اللّحوم الناشفة دى ٠ لمّا راحوا هناك عشـــروا على احمد المعقور الانت تسمع بيه ،بقولوا احمد المعقور جد الفـــور بقولوا دا جدّهم[٣٤] انت سمعت كدا ٠

فلكن لا ٠٠٠ الحقيقة احمد دا ما اسمه احمد المعقور ! اسمـــه احمد المعتصم٠ احمد المعتصم بن عبد الله القائم بأمر اللـــه[٣٥] كدا فلان الفلانى كان هو كدا٠

دخلوا كيف ؟ الناس ديل عرب بنى عيسى،عباسيين ٠ دخلوا مـــن

قاعدة قناة السويس ،ما يكون البحر الأبيض مع البحر الأحمر بجمعوهم. كان فى صحراء. دخلت العرب دى من هناك . وجو (جاءوا) لأن يعملوا تبشير دينى فى الجهة الغربية. فكانوا ماشين الى ماجو دخلوا فى ارض الصحراء دى[٣٦] وجدوا الناس النهّابين الزمان هناك . كانت القبائل فيها ناس نهّابين . البديات وما ادريك (و أمثالهم) وبتاع والبربر القدام. الزمان ديك كتلوا الناس ديك على بكرة أبيهم واخذوا كل حاجاتهم[٣٧] وحتى احمد المعقور دا ذاته افتكروه ميّت . لكن ما كانش ميّت . كان معقّر . معقّر وقاعد.[٣٨]

أخذوا حاجات الناس دى كلّها نصبوها وشالوها وفاتوا (ذهبوا) خلّوه هو قاعد هنا. وقال ليك هناك يعيش . هناك المحل دا قالوا فيه بلح،على حسب الشىء الأنا سمعته. قالوا فيه التمر القصار قالوا كان ياكل من التمر دا ويشرب من الموية وكرعينه معقّرات من اعصابه.

بعدين الفور والتنجر والداجو البروحوا (الذين يذهبون) يشرّكوا للصيد هناك ويصطادوه هناك ،وجدوه هناك . وجدوه لقوه رجل عربى . لونه جميل ومشعر وبتاع. سألوه من الحكاية ورّاها ليهم.

شالوه وجابوه للسلطان شاودورسيد فى عين فرح هذا السلطان قال عالجوه فضلوا يعالجوا فى ... احمد المعقور لمّا طاب .. طاب أعرج . دا البحث . وبقى يمشى كدا. سمّوه احمد المعقور. لكن ما قالوا فلان. لكن بعدين ورّاهم انّه احمد ود المعتصم. لكن ما شفت ازّاى إ ود فلان ود فلان . ورّاهم نسبه بالضبط[٣٩] فضل أصبح قاعد احمد المعقور.

بعد أوكات السلطان فكّر فى أنّه احمد المعقور دا شافه رجل ورجل بليغ جدا يعرف يتحدث .[٤٠] قالوا الراجل دا دايما أشركوه معاكم فى القضايا بتاعة الأهل . القضايا البتحصل خلّو يفصل فيها. فضلوا يجيبوه فى مجلسهم فى القضايا ويفصل فى القضايا. ورجل فاهم جدا.[٤١] وبعدين نقلوا الحكاية للسلطان قالوا ليه والله العربى دا بيفهم ويعمل. وحكمه البعمله دا كل الناس رضيانين منه.

السلطان انبسط جدا. بعدين السلطان فكّر. قال رجل جميل زى الراجل دا وفاهم بالطريقة زى دى انا بتى "خيرة" دى لازم أزوجها للراجل دا عشان تجيب منّه اولاد ويكونوا بشكله كدا نوعه يكونوا بليغين وفاهمين.[٤٢]

جاب التنجر والفور. يا تنجر يا فور ! أيوه. والداجو. والله أنا داير أدّى خيرة دى للعربى احمد المعقور دا. طبعا ما بقدروش يقولوا (لا) للسلطان. لكن بعض الأجاويد ما رضيانين. عايزين ياخدوا خيرة هم. بدل ما يدّوها لزول. لكن راحوا قالوا للسلطان الزول دا أعرج. كرعينه معقرات كيف تدّيه الأميرة دى. السلطان قال ليهم والله موضوع أعرج دا كلام تانى . لكن انا فكّرت ادّيه عشان ينجب اولاد يكونوا - كان بنات ولّا اولاد يلدهم من خيرة بتّى دى - يبقوا ناس كويسين.[٤٣]

حضروا الجماعة. حضروهم. زمان ما عندهم حاجة. زمانهم داك ما كانش فى اسلام مافيش فقراء ولا حاجة زى دى . بس خلاص زوّجنا خيرة زوّجنا خيرة. أدّوها ليه. قاعد بعد شويه خيرة كانت حمل . حمل. أنجبت ولد. مين ! سليمان . أنجبت سليمان الهو بسمّوه سليمان "صولونق" دا معناها بكلام الفور "العربى سليمان" شفت ازاى ! ولدت سليمان.[٤٤]

سليمان فضل فى زمن جدّه يتربى فى امان الله لمّا عمره بقى ١٩ سنة قبل شاودورشيد ما يموت ،مات ابوه احمد المعقور. احمد المعقور كتب لولده الحاجات كلّها ورّاها ليه. شفت ازّاى ! انّه هو عربى من المحل الفلانى كدا كدا. من الذرّية العباسية كدا كدا بحسب لغاية ما وصل لغاية سيدنا حمزة.[٤٥] فضل سليمان محتفظ بأولاده. بعدين شاودورسيد مات . لمّا مات شاودورسيد من العادات زمان - حسب البحث الأنا بحثته - كان ما يدفنوا السلطات الّا اذا عملوا خليفة. فضلوا محتارين فى الحكاية. السلطان ما عندو ولد،يعملوا شنو ؟ فى ناس قالوا يعملوا (خيرة) سلطان. فى واحدين قالوا نحن "مرا" ولا نعملوها سلطان تحكمنا. فضلوا متحيرين. قاموا حنّطوا شاودورسيد. قنّب اربعة شهور قاعد محنّط ومافيش سلطان،وما عارفين

يعملوا ايه.[٤٦]

يوم من الأيام قالوا كانوا قاعدين فى شدرة كبيرة عندها ظل عامر.[٤٧] كدا وقاعدين كلّهم. يقوم سليمان طلع من بيت أمّه (خيرة). مارق كدا الجماعة قالوا: هى دا ياتو الماشى هناك دا. واحدين قالوا دا ما وليد (خيرة) ولا تعرفوه.

- دا وليد خيرة ؟
- أيوه
- نادوه نادوه وسلّموا عليه. وقالوا يا جماعة انتوا من زمان قاعدين لينا اربعة شهور،مادام خيرة ولدها دا قاعد أخير (أحسن) سووا وليدها دا بدل ما تعملوها هى سلطان.

قاموا باركوه. وجابوا سليمان قعّدوه. وقالوا ليه يا وليدى مبروك عليك السلطنة حقت جدك وجدك ما عنده نانا (طفل) ضكر (ذكر). ولفّوا ليه العمّة وراحوا ضاربين،ضربوا البتاعات ،والزّمر بتاعهم والحاجات وتوّجوه ، انّه هو السلطان فى دارفور.

أصبح السلطان سليمان احمد المعقور. سليمان احمد المعقور قنّب (مكث) سنة والسنة التانية رايح كاتب للجزيرة العربية. للعرب . قال ليهم انا سليمان ابن عبد الله المعتصم.. بن فلان. فلان كدا. ابوه جا هنا واخد "تزوّج) من الزنوج. وولدنى انا. بعدين السلطان مات . انا اصبحت حاكم على البلاد دى كلّها. فمن فضلكم تعالوا.[٤٨]

أول ما وقع الجواب فى ايدم ، أول ناس يجوا هنا يدخلوا من العرب فى سنة ٨١٦ هجرية ،جوا الخزام. دخلوا وين ؟ دخلوا عن الطريق دا وجابوا الجمال. وما كانش فى جمال فى دارفور زمان. أول ناس يجيبوا الجمال هم الجمال اللّونا اسود دى . جابوها من جزيرة العرب . وجوا بيها. وجوا بيها فى حتة اللّهى .. المحكمه بتاعة المهرية الحسّع الحالية حته اسمها "شرنقو" هسّع المحكمة دى صغرى أنا افتكر .

جوا نزلوا هنا فى شرنقو. فرقان . لمّا جوا نزلوا بناء على

الجواب دا. قاموا اختاروا الناس العاقلين كلّهم قالوا ليهم يا جماعة حسّع انحن وصلنا يلاّ ألبسوا انتو هم نزلوا فى المحل داك. واختاروا انه يوفدوا ناس من ناسهم الكبار عشان يقابلوا السلطان سليمان. فعلا لبسوا وراحوا قابلوا السلطان سليمان ورحّب بيهم وسلّم عليهم وأكرمهم كرم هايل جدا. وبعدين قنّبوا وورّاهم. وبعدين عرفوا تمام والله تمام. لأنّه هو بنى خزيمة ودا بنى "عبس" لاحظت الحكاية دى قدر ايه.

قال ليهم دلوكت انتو هسّع جيتوا نزلتوا هنا فرقان. قال ليهم اقيموا قبلكم لكن ما تعملوا كلام مع أى زول. وابتدوا فى التبشير الاسلامى. فهمت ازّاى ! وما تعملوا حاجة.

جوا عزّابه أكثر من العرب ديل. أكترهم ناس ما عندهم نساء. فضلوا يتزاوجوا بقت من اللّون اللّهو اللّون الأسود بتاعنا دا. فضلوا يزوّجوا وقاعدين مع الناس، بعد شويتين فضلوا الخزام زاتم يكاتبوا لجزيرة العرب لباقى العرب. قالوا ليهم انحن وصلنا فى أرض كدا كدا وارض ينفع فيها الابل .. كدا. كدا. وتعالوا. هم قاعدين برضوا فى نفس (شرنقو) دى.[٤٩]

بعد شويه قاموا داخلين ليك الهبانيه والرزيقات وبنى هلبه والتعايشه والمسيريه والحمر ولغاية الحوازمه بتاعين (داربتى، ودار نعيله) الهسّع ساكنين مع النوبه هناك ديك. كلّهم دخلوا بهنا. وديل فى الأصل عرب نجد (عطاوله) شفت ازّاى ![٥٠]

بعدين لمّا دخلوا برضو عندهم جمال فى الأول. قال ليهم سمح انتو جيتوا بالجمال كدا ما بتمشى. الدنيا كلّما تمشى تغرّب المطر كتير والضبّان كتير. وكان صعدتوا كدا فى ضبّان. أنا أورّيكم. أنا آخد منّكم الجمال دى أخلّيها هنا. وأنا أديكم أموال أخره، بقر وغنم وضان. وعشان تعملوا فرقان تدريجيا تدريجيا، وتعملوا تبشيرات فى الدين الاسلامى. ما تعملوا حرب مع زول. ما تقول لزول عبد. ما تقولوا ليه أبدا أى شئ. وتعملوا فى الدعايه وتتركوا الجمال دى. قالوا ليه طيب أنحن ما عندنا مانع.

استلم منهم الجمال،بدّلها ليهم بالبقر والغنم. الجمال كلّها انحصرت فى شمال دارفور فى (فقمه) دى وفى (شرنقو). بعض منهم الهم الرزيقات اخدوا البقر طبعا. الهبانية اخدوا بقر،بنى هلبه اخدوا بقر،وفضلوا ماشين ماشين الى أن وصلوا فى ام التيمان "تشاد". المال كثر عندهم والضان والحاجات دى. رجعوا لافين الى أن وصلوا (قوز بيضة)، ألّهى بلد الداجو. كتبوا جواب لسليمان،قالوا ليه أنحن لفينا .. وحسّع بقى عندنا مال كتير جدا وعايزين نرجع لجزيرة العرب.

سليمان كتب ليهم جواب. قال ليهم انتو زمان جيتوا بالجمال ولا يمكن الطريق دا تمشى بيه البقر والغنم. تمشوا بيها جزيرة العرب. لكن لو فكرتوا وعندكم عزيمة تروحوا جزيرة العرب، استمروا كدا لغاية ما تروحوا بالخط "الحميرى" وتروحوا لمدينة (هرر) فى الحبشة وادخلوا بالسكة بتاعة اليمن ديكه.

فضلوا العرب ديل ليصبحوا فريق فريق. فى الوكت داك سمّوا نفسهم هبانية وبنى هلبة وبتاع بيوت كدا. ومقطعه. الرزيقات سكنوا هنا، والحمر راحوا سكنوا هناك والحوازمه راحوا دخلوا بطن الجبال واتزاوجوا من النوبة بقوا مع النوبة سوا قاعدين. دا السبب الجاب العرب.

بعدين فضل البيت بتاع على دينار دا العباسى فى بطن البلد. وفضلوا نفس الخزام قاعدين،والجلول جزو من الرزيقات. الجلول والمهرية والعطفيات والزبلاب وما ادريك .. كلّهم ديل رزيقات، من الناس التركوها هنا. ديل قنّبوا مع الجمال الجوا بيها من جزيرة العرب. فلغاية الآن هم قاعدين فى محلّهم لكن فى المرعى. بعدين الأيام الأخيرة بقى يداخلوا. واحدين يحولو كبكابية وواحدين بدخلوا دار مساليت وواحدين يمشوا كدا لغاية كاس. وواحدين يمشوا يخشوا دار التعايشة.

بعدين القبائل الموجودة من اولا لآخرا ... الاثنين وسبعين قبيلة الأنا راح اقول اساما (اسماءها) مسجلة عندى. كل قبيلة ليها

مرجع عربى . مثلا القبيلة البقولو انحن (كير) الانت سامعه معنـــاه اولاد (خيره) .[51]

ذرية (خيره) اللّهو سليمان . فلمّا تقوم تجيب المسبعات هنـــا و المسبعات الفى كردفان وناس احمد بكر ديلك الهناك كلّهم أولاد عم اخوان على دينار يروحوا هنا ينسبوا معاهم فى بكر . جدّهم واحـــد. ناس عوض جبر الدار الحسّع فى كردفان زمان حكموا كردفان . السلطـان مسلم ديل كلّهم اولاد عم لناس على دينار. الناس يقولوا ديـــــل مسبعات . لكن لا ... الحقيقى الأصل هم "مصبحات" صبحوا.[52] مـــــش مسبعات .

الهوامـــش

(١) ابراهيم اسحق ابراهيم "السيرة الهلالية فى دارفور: دراســة تحليلية فى مناهج المؤرخين العرب والتراث الشفاهى"- رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم أغسطس ١٩٨٢ نصوص التراث الشفاهـــى ص ٩-٣٣ .

(٢) نفسه ، نصوص التراث الشفاهى ، ص ٣٤-٤٥ .

(٣) نفسه ، نصوص التراث الشفاهى ، ص ص ٤٦-٥٠ .

(٤) نفسه ، نصوص التراث الشفاهى ، ص ص ٥١-٦٤ .

(٥) نفسه ، نصوص التراث الشفاهى ، ص ص ٨٦-٩٩ .

(٦) نفسه ، نصوص التراث الشفاهى ، ص ص ١٠٠-١٢٤ .

(٧) نفسه ، نصوص التراث الشفاهى ، ص ص ١٢٥-١٢٩ .

(٨) نفسه ، نصوص التراث الشفاهى ، ص ص ١٤٥-١٥٢ .

(٩) نفسه ، نصوص التراث الشفاهى ، ص ص ١٨٥-٢٠٢ .

(١٠) نفسه ، نصوص التراث الشفاهى ، ص ص ٢٠٣-٢٢٥ .

(١١) نفسه ، نصوص التراث الشفاهى ، ص ص ٢٢٦-٢٤١ .

(١٢) نفسه ، نصوص التراث الشفاهى ، ص ص ٢٢٤-٢٧٤ .

(١٣) موسى آدم عبد الجليل وعبد الله آدم خاطر، التراث الشعبـــى

لقبيلة الفور،سلسلة دراسات فى التراث السودانى (٢٣) (الخرطوم : وحدة أبحاث السودان،جامعة الخرطوم فبراير ١٩٧٧) ص ص ٦-٧ .

(١٤) نفسه ،ص ص ٧-٩ .

(١٥) نفسه ،ص ٩ .

(١٦) جمعها على بحر الدين بمعهد الدراسات الافريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم ، أثناء قيامه بالعمل الميدانى لجمع مادة لرسالة ماجستير فى الفولكلور يعدّها .

(١٧) نفسه .

(١٨) H.A. Macmichael, The Tribes of Northern and Central Kordofan (London,Frank Cass and Co., 1967) pp.234.

(١٩) شريط رقم (٢٦) أدب شعبى مركز دراسة الفولكلور، وزارة الثقافة والاعلام .

(٢٠) نعوم شقير،تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، الجزء الثانى، ص ص ١١١-١٤٧ .

(٢١) شريط رقم م. د أ. أ.(١٠١٠) ارشيف معهد الدراسات الافريقية والآسيوية ،جامعة الخرطوم .

(٢٢) Gustav Nachtigal, Sahara and Sudan. Wadai and Darfur, Vol. Iv Trans. from the original German with an introduc-ation and notes by Alam G.B Fisher and Humphery J. Fisher with Rex S. O'Fahey (London: C.Hurst Company, 1971) p 275.

(٢٣) R.S O'Fahey and J.L. Spaulding, Kingdoms of the Sudan, Studies in African History (London: Butler and Tannes ltd.1974) p.112.

(٢٤) يوسف فضل حسن،مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية فى السودان الشرقى ١٤٥٠-١٨٢١ (الخرطوم : الدار السودانية ،١٩٧١) ص ص ٨٣-٨٤ نقلا عن دى كادلفان .

(٢٥) Rudolf C. Slatin Pasha, Fire and Sword in the Sudan, A Personal Narritive of Fighting and Serving the Dervish 1879-1895. Trans. F.R Wingate, (New York,Negro University 1969) pp.38-42.

(٢٦) يوسف فضل حسن، المصدر السابق، ص ٨٢ ٠

(٢٧) H.A.Macmichael, Op.Cit,p.231

(٢٨) Ibid. p 231

(٢٩) Ibid.,pp.231-232

(٣٠) Ibid., p.232

(٣١) رغم أنّ هذه الرواية قد حفلت بايراد اسمين لحاكم دارفور آنئذ (شاودورسيد) و(شاودورشيد) الاّ أنّ الروايات (١:٣١، (٤:٥٣) (١٦)، (١٤:٧) و(٢٣:١١٢) قد احتفظت بنسخة واحدة للاسم "شاودورشيد" وورد (دورشيد) فى (١٣:٦) و(شاك دورشيد) فى (١٠:٢٠٨) و(دورشيد) فى (١٥:٩) مع بعض التفاصيل الأخرى التى تورد كلمة (شاو) وتنسبها للجراد الصحراوى المسمّى بـ (الشاو)٠ وتعليل الراوى أنّ ذلك الملك كانت تجرى فى عروقه دماء ايطالية ممّا اكسبته سمرة فى لونه٠ ولم يلبث الراوى نفسه أن غيّر تعليله فى عبارة تالية مشيرا الى أنّ (شاو) فرع فى قبيلة الفور٠ أمّا الرواية (٢٢:٢٧٥) فقد اوردت أنّ اسمه (شاو) وأضافت الرواية (١٦) اسم "أبو الخيرات" وورد اسم (شاودورشيت) فى (٢٠:١١٢) و(٢٦:٨٢) وكذلك فى (٢٥:٨٣) الذى يذكر اسم (شاودورشيت و (كورو) على التوالى كملك للتبخر٠ ولعلّ خلطا قد حدث بين اسم شاودورشيد وشخصية (كورو) الوزير الأول على عهد أول سلاطين دارفور "سليمان سولونق دنقا" بعد أن آل الحكم الى الكيراء٠ أنظر نعوم شقير، المصدر السابق ص ص ١٤/١٥، ومحمد بن عمر التونسى تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد (القاهرة: المؤسسة المصرية العامّة للتأليف والأنباء والنشر، والدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥) أنظر الحاشية ص ٨٤٠

أمّا (٢٢:٢٧٥) فقد أوردت أنّ الملك كان يسمّى (كوروما) ولم تشر أية رواية اخرى لهذا الاسم. وجاء فى نفس هذه الرواية ايضا أنّ كوروما قد تزوج بـ (فورا) ابنة زعيم الكيرا الذى ولد ولدا اسمه (شاو) أو (ساو) ثم طلّقها وتزوجت احمد المعقور بعد أن صار محبوبا. ومن هذه الزيجة ولد (شاو) و(دالى) أو (دليل بحر). يعلّق هذا الكاتب أنّ التقاليد تشير الى أنّ كل القوائم تسجّل (شاو) كآخر ملك للتنجر بينما سجّلت أخاه (دليل بحر) كمؤسس لأسرة الكيرا. وبعد فقد أهملت الروايات (٢، ٣، ٧، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٧-٣٠) ذكر اسم السلطان تماما.

(٣٢) وردت عبارة "بقرب السريف" فى (٩:١٥) عين فرح فى (٤ : ٥٣) بغرب كتم فى (٤٠:٢) بحلة تنجر دون تحديد فى (٣١:١)، فى الجبل أو جبل مرّة كما فى (١١٤:٦)، (١٤٩:٨)، (١،٢:٢١)، (٤٦:٣) (٨٢:٢٦) و(٨٣:٢٥)، وفى طره "موقع بجبل مرّه" فى(٧:١٤). ولم يرد ذكر أية منطقة فى كلّ من (٥، ٧، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ٢٢، ٢٣)، وأخيرا (٦).

أمّا النص (١١٢:٢٤) فرغم عدم ذكر المنطقة الاّ أنّ هناك اشارة الى أنّ الملك كان يرغم الناس على تسطيح رؤوس الجبال. وربما كان فى ذلك اشارة توحى بأنّ شاو كان يسكن الجبل.

(٣٣) لم يرد تحديد أى تاريخ فى أى من الروايات الواردة لدينا كما فعل الراوى فى هذا النص، الاّ فى الرواية (١١١:٢٢) التى حدّدت عام ٨٢٣هـ أى ١٤٢١م والرواية (٨٢:٢٦) التى تحدّد التاريخ بسنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤-١٤٤٥م، والرواية (٨٤:٢٤) التى تشير بأنّ تاريخ اعتلاء احمد المعقور للعرش كان فى عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م. وتشير الرواية (١١٢:٢٠) الى هذا الحدث بأنّه قد كان فى ٨٤٨هـ/١٤٤٥م.

(٣٤) الرواية (١٢٦:٧) تشير الى أنّ احمد المعقور وجد عندما خرج الناس للصيد، وزعم أنّه جاء لوحده الى مكان اقامة السلطان كما فى (٥٣:٤)، (١٩٠:٩)، (٦:١٣)، (٩:١٥)، (٨٢:٢٦)، (٢٢ : ٢٧٥) (١١٢:٢٣)، (٢٣٢:١٨) والرواية (٢١) غير أنّ الرواية (١٠:١٣) تحدّد أنّ احمد جاء زاحفا للسلطان وأنّ السلطان تولّى أمره حتى

تمّ علاجه تحت يديه. بينما لم تذكر الروايات (٢،٨،١١) سبب خروج الناس الى الخلاء لمّا وجدوه. أمّا فى (١،٥،٦،١٧،١١)و(١٩ ٢٢:٢٧٥)، ٢٨:٢٣١) فلم ترد الأشارة الى كيفية مجيئه الى مقر السلطان. ثم أنّه حدّد هذا النص أنّ الفور والتنجر هم الذين خرجوا للصيد لم تذكر بقية الروايات التى اهتمت بالتصريح بمن وجدوا احمد المعقور أو القبائل التى قامت بذلك. وانفردت الرواية (٢٤:٨٤) بأنّ احمد المعقور قد غزا دارفور بمعاونة بعض البدو ونشر الاسلام، ولم يأت طالبا العيش فى بلاط السلطان. وأشارت الرواية (٢٩:٢٣١) الى أنّ احمد المعقور وأبايزيد كانا فى تونس وأنّ أحداث القصة كلّها وقعت هناك، وليس لدارفور صلة الاّ بمرورهما عبره من كسلا، النيل الأبيض محطة أبوزيد فتونس. أمّا الرواية (٣٠:٢٣٢) فتشير الى وصول أبى يزيد الى كردفان الى جبل الزناتى (٤٠ كيلومترا شمال بارا كما تقول الرواية) وحارب خليفته وذبحه ولم يرد هنا ذكر لأحمد المعقور. وجاء فى الرواية (٢٥:٣٩) أنّ اثنين من العبيد اللذين تركا معه أخذاه لأقرب قرية حيث قوبل بالملك (كور) آخر ملوك الداجو وأخبروا بأنّه غريب معقور أى أخذ الى مكان الملك). ولم ترد أية اشارة للحادثة فى (٢٧) بينما تورد الرواية (٢١:٢٣٣) أنّ قوما وثنيين قد وجدوه، وأخذوه، وأنّه علّمهم وهداهم للاسلام.

(٣٥) لم يرد فى أية من الروايات اسمه بالكامل الاّ فى هذا النص وبينما احتفظت النصوص التى أوردت سيرته باسم احمد المعقور. وخالفتها الرواية (٩:١٩) فذكرت عبد الله المعقور فقط، وفى (٢٠:١١١) اسمه احمد سفيان واحمد سفيان واحمد المعقور على السواء فى (٢٦:٨٢).

(٣٦) ذكرت هذه الرواية أنّ جماعة احمد المعقور القادمين الى دارفور أتوا عن طريق الصحراء، دونما تحديد دقيق للطريق الذى سلك لهذه الصحراء سواء كان من مصر أو تونس أو ليبيا مثلما ورد فى الرواية (١٠:٢٠٨). على أنّ الروايات (١:٢٩)، (١٢:٢٤٨)

(٩:١٥)، (٨٣:٢٥)، (٨٢:٢٦)، (١١٢:٢٣)، (٢٣٢:٣) حدّدت الجهة بذكرها لتونس أو ليبيا أو شمال افريقيا، وأشارت الى أنّ الطريق الذى سلكته تلك الجماعة هو طريق العوينات وجبل الميدوب. وفى الرواية (١٢٥:٧) ذكر الراوى أنّهم جاءوا من مصر بالجهة الشمالية وفى (٣٩:٢) و(٢٣١:٢٨) أنّهم جاءوا من الشرق، وأضافت الروايتان (٢٣١:٢٧) و(٢٣١:٢٩) بعض التفاصيل وأوضحتا أنّ أبايزيد وقومه قد مرّوا بكسلا فالنيل الأبيض ثم عبروا بموقع عرف فيما بعد بـ (محطة أبوزيد) بيد أنّ الاستفادة من بعض الاشارات والمواقع قد توحى بأنّ الراوى يقصد طريق الشرق مثلما فى (٢٣٥:١١) حيث ذكر أنّهم مرّوا بـ (مخاضة أبوزيد) أى جنوب كوستى وكذا فى (٥٢:٤) حيث جاء ذكر مدينة النهود. وتورد الرواية (٢١) أنّه جاء من الشرق، غير أنّها تعطى بعض التفاصيل التى نرى ضرورة الاشارة اليها. فقد جاء أنّ أبا زيد الهلالى - أخ احمد المعقور - قد وفد الى السودان فى رهط من قومه من الجزيرة العربية عبر مصر وساروا فى مراحل الترحال والتنقل التدريجى الى أن وصلوا الجزيرة "المروية" وحطوا رحالهم فى بقعة تعرف بـ(نقر كنانه) بالقرب من بلدة الحصاحيصا الحالية، لكنّهم غادروها "لأنّ أبازيد كان قد رأى بعد أن اشتم الارض، أنّها "مجرى الاعلام ومطرح الصبيان". ثم توغّلوا جنوبا وعلى النيل الأبيض حتى عبروا (مخاضة أبوزيد) جنوب كوستى ثم ساروا لكردفان والتى رأى أبوزيد أنّها لا تصلح لسكنهم بعد أن "قلع أرض كردفان فقال ليهم النساء ما ينزلن من هنا .. ليه؟ الأرض تغرق .. الأرض كان إسّيّرت (إتبوّلت) فيها ما تصوم .. عايزه الرجال طوالى .. "فارتحلوا وأخيرا استقرّ رحلهم بالقرب من الفاشر فى مكان اسمه درب الجمل الآن وكان اسمه فيما مضى النخيل القصار.

وقد جاء أنّ أبا زيد ورهطه قد حطّوا بالقرب من الفاشر على درب الجمل. ولعلّ الموقع الذى استقى منه الرواية (٢١) قد أثّر على تغيير بعض المسمّيات فيها. فدرب الجمل هو طريق

يمر بشرق النيل الأزرق ويمر بقرية أربجى التاريخية حاضرة سلطنة الفونج - قرب مدينة رفاعة الحالية - الى سنّار العاصمة. ولربما كان هذا هو سبب الخلط بين درب الجمل ودرب الأربعين الذى يمر بكوبية والفاشر. ومن المحتمل أيضا أن اختلطت مجموعة من روايات احمد المعقور على الراوى فجمع بين ما سمعه من روايات دخول بنى هلال لدارفور من مصر عن طريق الأربعين وتلك التى ركّز عليها وهو طريق النيل.

أمّا ما جاء عن أبى زيد قد نزل على موقع يعرف بـ(النخيل القصار) على درب الجمل،فقد تأثّر فيه الراوى بثقافته المحلّية. ولهذا فقد شرح اسم الموقع دون أن يذكره فبدل كلمة (التمر) بـ(النخيل) وهو ما يغلب على أهل الجزيرة المروية بتسمية التمر بـ(النخيل) وقال "النخيل القصار" بدلا عن "التمر القصار". والتمر القصار موقع شمالى الفاشر.

أمّا الرواية (٧٨:٢٣٣) فتخلط بين الطرفين. فبينما تذكر أنّ أبا زيد قد خرج من الجزيرة العربية الي تونس فالقضارف فشركيلة فالرهد ثم الفاشر. ويبدو أنّ هذه الرواية (٧٨) قد حدث فيها بعض الخلط والنسيان بين ما يتناقله الرواة من ذكر لهذه المواقع فبدأت بأنّ أبا زيد قد ذهب الى تونس ودخل السودان من الشرق ليذهب ليستقر فى تونس ويخلف احمد المعقور فى دارفور غير أنّ كثيرا من الروايات قد أغفلت تماما ذكر الطريق مباشرة أو الاشارة اليه (الروايات (٣،٥،٦،٨،١٣،١٦،١٧،٢٤). وجدير بالذكر أنّ بعض الروايات قد علّلت أسباب مجيء الهلاليين وأفردت جيزا لذكر بعض المرافقين خاصة زوج أبى زيد الهلالى أو بعض العبيد. جاء فى الرواية (١:٢٩) أنّ الهلاليين "جابهم عدم الرعية للبهائم.. عندهم ناقة بتنسرب بتسرق (تشرد) وتبعوها من ورا لغاية وصلوا ضواحى جبل ميدوب" حيث وجدوا المرعى. ورجع نفر منهم ليحدثوا قومهم وليحضروا الى مكان المرعى والكلأ. ولكنهم اتفقوا على ألاّ يصحب أىّ واحد منهم أية امرأة غريبة سوى بنت

عمّه غير أنّ أبا زيد خالفهم الرأى فصحبته زوجه الغريبةوكان يخفيها فى الهودج. وتتفق هذه مع ما جاء فى (٢:٣٤) فيما يتعلّق بشأن اتفاق القوم بعدم مصاحبة الزوجات الغريبات عند الهجرة ومخالفة أبى زيد لهم.

إنّ الرواية (٣١:٢٣٢) تشابه الرواية (١:٢٩) فى السبب الداعى للهجرة مع اختلاف طفيف فى أنواع الحيوانات. فتذكر أنّ أبا زيد الشيخ العربى قد عاش فى صحراء جرداء فى الجزيرة العربية أو سوريا. وقد لقى وقومه صعوبة فى ايجاد مراع لابلهم فصارت هزيلة ضعيفة ماعدا مهرا واحدا تعوّد أن يرجع الى المخيم ممتلىء البطن وكان سمينا. لهذا فقد راقبه أبو زيد أو عطيه، الذى احتار فى أمره حتى يتمكّن من اكتشاف السر. وظل مستيقظا طوال الليل بالقرب من المكان الذى ترقد فيه الجمال وتظاهر بالنوم. وعند منتصف اللّيل وبعد أن لاحظ المهر أنّأبا زيد قد نام،بدأ يجرى بسرعة نحو الغرب،وقفز أبو زيد فوق أسرع جمل وطارده حتى وصل واحة خضراء عرفت فيما بعد بتونس الخضراء. عاد أبو زيد أدراجه وقد أخذته الدهشة فقرّر الهجرة الى هناك. فخرجوا بأمتعتهم وارتحلوا عبر كسلا والقضارف وشركيله والرهد ثم الفاشر فى دارفور. وفى دارفور دبّ الخلاف بينأبى زيد واحمد بسبب غواية الأخير لجدّته أم أبى زيد فعقره أبو زيد وتركه هناك.

وجاء فى نفس هذه الرواية (٣١:٢٣٢-٢٣٤) أنّ أبا زيد الهلالى وقومه واصلوا الرحلة الى تونس الخضراء واستقرّوا هناك. وقد حطّ أهل فتاة جميلة بالقرب منهم فى الصيف. فرآها أبو زيد وأحبها وقرّر أن يتزوجها،ولكنّها طلبت منه أن يبقى تحت شجرة منتظرا اياها حتى يعود فى الصيف القادم إن كان يحبها حقا. ففعل. وعندما عادت وأهلها دهش أهلها دهشة شديدة لمّا رأوه منتظرا كوعده وقد صار نحيلا ضعيفا. ووافقت الفتاة على الزواج منه لاخلاصه وحبّه لها،غير أنّ جماعة من أهلها رفضوه لضعفه وهزاله ولأنّه انتظر عاما كاملا بدون عمل

تحت شجرة. ولكن الذين يعرفون أبا زيد جيدا قالوا انّهم كانوا موقنين أنّه سيفعل ما قرّره.

ثم بدأ أبو زيد فى تناول اللحم واللبن لمدة خمسة عشر يوما الى أن عادت اليه صحته وقوته وتزوج الفتاة.

أمّا الرواية (٦:١١٤) فلم تذكر كيف وفد قوم أبى زيد الى دارفور ولكنها تذكر أنّهم قد حطّوا رحالهم فى "أرضية الجبل" أى نواحى جبل مرّة. وتؤرخ الرواية بأنّ مقاليد الحكم يومئذ كانت على أيدى "الزرقا التنجر" أى (قبيلة التنجر السوداء) ولقد كانت آية مسكنهم ذاك أن يمكثوا قليلا حتى تقوى شوكتهم غير أنّهم رحلوا بعد أن نصحهم احمد المعقور. أفردت الرواية القصة التالية التى تحكى عن الطريقة الرمزية التى نصح بها احمد المعقور قومه. فقيل أنّه جاء بقمريتين كانت احداهما ذات ريش واختلع من الأخرى ريشها ثم غطّاهما ونادى قومه وأخبرهم أنّ مثلهم اليوم فى هذه الديار مثلما فى داخل الغطاء وطلب اليهم كشف الغطاء ففعلوا فطارت القمرية ذات الريش وبقيت الأخرى لا تقوى على الطيران تقفز من مكان لآخر فى نفس البقعة ثم قال لهم إنّ رأيى يتمثل فيما ترون. أنتم قوم قادرون على الترحال والبعد عن هذه السلطنة التى ستغدر بكم أو تبطش بكم.. فارتحلوا على عجل ما استطعتم، أمّا أنا فرجل معقور تعوزنى الحركة، مثلى مثل هذه القمرية. ونتيجة لهذه النصيحة خرج أبو زيد وأهله من دارفور شمالا "دار الريح" وبقى احمد فى الجبل. ويقول الراوى أنّ أهل أبى زيد هؤلاء هم الرزيقات وهم أولاد عطية "تركة عطية أو العطاوة".

(٣٧) انفردت هذه الرواية دون غيرها بذكر القبائل ووصفتها بأنّها كانت تنهب وتأخذ ممتلكات الآخرين.

(٣٨) لم يرد ذكر هذه الواقعة فى أىّ من الروايات. وأفردت أغلبها مجالا لتعليل الأسباب التى أدّت الى عقر "احمد المعقور" فقد أجمعت أغلب الروايات على أنّه قد نما لعلم أخيه - ومن زوجه

على وجه التحديد - أنّ احمد قد راودها عن نفسها فدبّ الخلاف بينهما وأودى به الى عقره وتركه. (الروايات (٢:٣٩)، (٣:٤٦)، (١٣:٦)، (١٠:٢٠٩)، (١٢:٢٤٨)، (٢٦:٨٢)، (٢٤:١١٢)، (٢١)، (٢٧:٢٣١) (٢٩:٢٣١). وأضافت الروايتان (٣:٣٠) و(١٤:٧) أنّ أخاه قد ترك له خادما تسمّى "زايده" وعبدا يسمّى "زيدا" وهما أصل قبيلة الزيادية، في حين أنّ الروايتين (٤:٥٣) و(١٥:٩) قد أوردتا أنّ عبدا واحدا فقط (سمّته الرواية الأولى منهما زايدا) قد ترك معه وولّى البقية. وقد أشارت بعض الافادات الى اختلاف احمد المعقور بمن عقره كما في (٨:١٤٩)، (٩:١٩٠)، (١١ :٢٣٥) و(٢٥:٨٣). وعنيت الرواية (٨:١٤٩) بذكر من عقره وهو أبو زيد دون ذكر الأسباب. وفي (٥:٩٦) ورد أنّ خادما قد تركت معه.

وجاء في الرواية (٢:٣٩) أنّ زوج أبي زيد والتي كانت في هودج قد شعرت بالجوع وكان ذلك في غياب أبي زيد. فاقتطع أخوه من رجله قطعة فشواها وأعطاها ايّاها، فوجدتها لا تستساغ فقذفت بها. وتكرّر ذلك الحادث. ولمّا عاد أبو زيد حدّثته بما حصل فغضب من أخيه وعقره.

بيد أنّ الرواية (٤:٥٢) تذكر أنّ زوج على "أخ احمد المعقور الأكبر" قد ارسلت اليه خادما تطلبه أن يأتي اليها فرفض احمد وكرّرت ارسال الخادم اليه ممّا أثار غضب احمد فقطع رأس الخادم. نجم عن ذلك أن غضبت زوج على وحدّثت زوجها بأنّ احمد قد راودها عن نفسها. فقال لجماعته: "دقّوا النقارة" فقرعت الطبول ايذانا ببدء رحيل القافلة. وكان على يتقدّم القافلة "رئيس قدّام" بينما احمد يسير في مؤخرة القافلة حرسا حرسا لها "خفر ميت" أو "حرسا للقافلة". وما أن انتظمت القافلة واستعدت للرحيل حتى قدم على الى احمد الذي ظن أنّ عليا قد جاء ليتفاوض معه في بعض الأخر، ولكنه عاجله بضربة في فخذيه فعقره. وسار ركبهم الى ليبيا تاركين احمد. وتذكر الرواية (٢٨:٢٣١) أنّ أبا زيد أمر عبيده بمداهمة احمد وعقره وذلك نتيجة لمحاولة احمد مواقعة زوج أبي زيد. الرواية

(١٢٦:٧) تورد أنّ احمد قد عقر لأنّه كان يتمتع بخصال حميدة وهو يتميز على أبى زيد ويتفرّد فى صفات عدّة ممّا حدا بقومه أن يكنّوا له محبة وودا أكثر من أبى زيد فكان أن انتقم أبو زيد منه نتيجة لذلك وعقره. غير أنّ الروايتين (٨ :١٤٩) و(١٩٠:٩) تشير الى أنّ خلافا قد وقع بينهما دون تفصيل له. أمّا الرواية (٢٠٩:١٠) فتذكر أنّ أبا زيد واحمد قد اختلفا بسبب امرأة ثم أنّ أبا زيد قام بحبس وعقر احمد. ولمّا أزمع القوم الرحيل آثر احمد البقاء مع السلطان شاودورسيد.

وجاء فى (١١١:٢٠) أنّ شقيقين قد ذهبا الى تونس ومعهما نفر من الأعراب وكان اسم الأكبر عليا والأصغر احمد سفيان. وكان على متزوجا بامرأة ذات جمال. أمّا احمد فكان عازبا وكان وسيما،فأحبته زوج اخيه حبّا لم يسعها معه الكتمان فكاشفته بحبها وولعها . فأنكر عليها ذلك ولكنه وعدها أن يكتم سرّها. أمّا هى فقد اشتعلت غيظا من ابائه وعزمت الانتقام منه،جاءت زوجها ذات يوم وأخبرته بأنّ شقيقه احمد يراودها عن نفسها وأنّها تزجره وتنهره ولكنه لا يرتدع فعظم هذا الخبر جدا على على ولم يصدّق ما قالته له زوجه لأنّه يحب أخاه محبة فائقة ويثق بعفافه وشهامته ولكنه بقى مرتابا فى الأمر.

ولمّا شعر احمد باستياء زوج أخيه بدأ يتودّد لها ويترضّاها ويتعلّق بها. فرأى أخوه ذلك فقوى الريب فيه وصدّق ما قالته له زوجه فاسودّت الدنيا فى عينيه وكره أخاه وزوجه والأرض التى كان نازلا فيها. فأمر أن تقتلع الخيام استعدادا للرحيل وما أن استعد الركب للرحيل حتى تأخر على مع احمد وظل يحادثه وهو يفكر فيما يفعله بأخيه فأبت نفسه أن يكاشفه بسر زوجه ولم يطاوعه قلبه على قتله. فقرّ رأيه أن يعقره، فيسمه بوسم يؤنبه مادام حيّا. فاستل سيفه وفاجأه بضربة فى رجله اليمنى فعرقبه وتركه يدمى ولحق بقومه. وهكذا عرف احمد السبب وصبر على الضيم وانتظر الموت فى مكانه وهو ينزف دما. ولمّا علم به عبيده وخاصته اجتمعوا حوله وعالجوه حتى صح،

فهاجر بهم من تونس الى جبل مرّة. وفى (٢٠:٤٠) يذكر الراوى أنّ اثنتين من النوق واثنين من عبيده وهما زيد وبرقد قد تركا معه لمعاونته ويضيف الراوى أنّ قبيلتى الزبادية والبرقد هما أحفاد هذين الرجلين. ولعلّ رواية نعوم شقير (٢١: ١١١) تطابق تطابقا تامّا وحرفيا ما ورد فى الرواية (٢٥:٣٨) ماعدا أسماء ملوك الفور يومئذ وذكر أسماء من ترك مع احمد من العبيد. وبما أنّ صاحب الرواية (٢٥:٣٨) أسبق فى اصدار كتابه والذى لم تكن طبعته الاولى بالعربية أو الانجليزية فانّه من المحتمل أنّ نعوم شقير قد أخذ عنه دون أن يشير لذلك فى كتابه ،وربما قد سمع نعوم شقير من رودلف سلاطين باشا تلك الرواية وعالجها من بعد مع روايات أخرى إذ أنّ الاثنين ربما تقابلا قبل أو أثناء الاعداد أو عند تنفيذ حملة استعادة فتح السودان ١٨٩٧-١٨٩٨. ولعلّ التوافق الحرفى فى الرواية أدعى بالأخذ بالسبب الأول دون غيره من العلل . أمّا الروايتان (١٦) و (١٧) فقد اهتمتا وعالجتا القصة من زاوية مختلفة وبالتالى فقد كان اهتمامها بذكر احمد المعقور وأبى زيد فقط من أجل ربطهما بنشأة قبيلة البرنو كما فى (١٦) وبالزغاوة فى (١٧) وجاء فى (١٦) أنّ أخت أبى زيد واحمد المعقور قد أنجبت محمد دورای ودقين ونوبى وكدو وعقاب وهى فروع للقبائل التى تنسب لها "برنو" فى دار تويز. ومن ناحية أخرى تشير (١٧) أنّ أخت احمد المعقور قد أنجبت كوبقى وابرا وسيا واردى بروكوترا وشاوتى وكوبى وهى بطون من قبيلة الزغاوة ويبدو أنّ الروايتين (١٦) (١٧) قد نسجتا على نسق رواية احمد المعقور وزواجه من خيرة "كيرا" فأنجبت "الكيرا" فرع قبيلة الفور على نحو ما سيرد ذكره فيما بعد. أمّا الرواية (٣١:٢٣٣) فقد ذكرت أنّ احمد قد حاول غواية جدّته أم أبو زيد فعقره. بيد أنّ الروايات (٢٤:٨٣٢-٨٤) (٢٢:٢٧٥) (٢٧ : ٢٣١) (٣٠:٢٣٢) لم تذكر شيئا عن عقره أو كيف .

(٣٩) جاءت الاشارة الى النسب فى هذه الرواية فقط ولم تهتم

الروايات الاخرى بذكره. وصرّحت الروايات (٢٠:١١١) و(٢٦ :٨٢) و(٢٤:٨٣) بأنهم من أصل عربى "من بنى العباس". وأشارت الرواية (٣٨:٢٣٢) أنّ أبا زيد كان عربيا من صحراء جردداء فى الجزيرة العربية أو سوريا. وجاء فى (٢١) أنّهم عرب من العراق اشتهروا بالفروسية والرعى والسياسة، وأفردت هذه الرواية متسعا للحديث عن تاريخهم منذ رحيلهم من العراق متجهين صوب تونس عن طريق مصر وقيل أنّهم قاتلوا ملك العجم فى أرض الشام واسمه "التمرلنك" وتورد القصة حوارا دار قبيل المنازلة وهزيمة جيش العجم. وهناك تفصيل عن المعركة وأسلوب الحرب والنزال. وعموما تتفق الروايات على أنّه من اصل عربى دون الخوض فى النسب كما فى هذه السانحة.

(٤٠) انفردت هذه فقط بالاشارة الى لغة احمد المعقور وقوة بيانه ومثل هذا لا نظير له فى الروايات الاخرى.

(٤١) هذه هى الاشارة الوحيدة من بين جميع الروايات الى أنّ (احمد المعقور) قد عيّن قاضيا أو عضوا فى مجلس قضاة. وأنّه كان رجلا (فاهما) أى عالما. ولكن الاشارة فى مجملها ربما قصد بها أنّ احمد المعقور كان رجلا حكيما، متبصرا بالأمور، ويدرى كيف يعالج المواقف بالدراية والخبرة. جدير بالذكر أنّ راوى هذه السيرة يعمل قاضيا (رئيس محكمة العوائد بالفاشر) "أنظر آدم الزين، المصدر السابق، ص ١٢".

وفى فلوكلور دارفور أنّ الاجواد) أى عضو المحكمة أو كل من يعهد اليه الناس حل مشاكلهم لابد وأن يكون بليغا حكيما ذا عبارات بليغة وتجرى الأمثال على لسانه. وهذا الراوى من دارفور. وذكرت الرواية (٢٠:١١٢) أنّ الملك قد عهد الى احمد (تدبير منزله وسياسة مملكته ... وعلم رجال حاشية الملك آداب السلوك).

(٤٢) اتخذ الرواة مسالك لتعليل زواج احمد المعقور من بنت السلطان فقد اتفقت الرواية (١٦) مع هذه الرواية ولكنّها أضافت أنّ

اسلامه (اسلام احمد المعقور) "كويس" غير أنّ الكثرة المتعددة من الروايات أجمعت على قصة تنظيم الأكل. كانت حاشية السلطان تتناول أقداح الطعام قدحا اثر قدح ولكنّها لا تشبع ورجاهم احمد المعقور بالانتظار وبدء الأكل بعد وصول الأقداح كلّها. وكان يأمرهم بغسل الأيدى قبل الأكل وأن يقولوا "بسم الله" عند البدء. ووجد الأمر استحسانا. وشبع الناس وحدّثوا السلطان بالأمر.

غير أنّ الروايات التى أوردت هذه السانحة قد أضافت بعض التفاصيل نتيجة لتصرّف (احمد المعقور) الحسن واختلفت فيها.

فقد عمد الرواة فى (٧:١٣)، (٩٦:٥-٩٧)، (٨:١٤)، (٢٣٥:١١-٢٤٦) الى اضافة أنّ احمد المعقور قد نصّب (رئيسا للضرا) ومن ثمّ تزوّج بنت السلطان خيرة. وفى (٣١:١) أضاف الراوى أنّ السلطان وجده عربيا فأعجب به وزوّجه أمّا فى (٤٠:٢) فقد ذكر أنّه قرّب من الملك وصار من الأجاويد ثم زوّج. وتوافق الرواية (٥٤:٤) ما جاء فى (٤٠:٢) غير أنّها تضيف أنّ احمد المعقور صار وكيلا يكتب لغة من وفد عليهم ويحفظه وقد أدخلهم الاسلام. أمّا الرواية (١١٥:٦) فرغم اتفاقها مع (٢) الاّ أنّها تقول أنّ احمد المعقور قد صار (أمين السلطان) وبقى هكذا حتى مات الملك وصارت اخته أميرة فيهم ثم نصّب احمد سلطانا. ولم ترد الاشارة الى زواجهما سوى أنّها صارت أميرة فى أهلها وصار هو سلطانهم فى آن واحد، ممّا ينم عن زواج تمّ بعد الوفاة فى الرواية، والاّ لما كان هناك ملكان فى سلطنة واحدة. وتزعم الروايات (٨٢:٢٦)، (٨٣:٢٥) و(٢١) أنّ احمد المعقور قد عهد اليه برعاية شئون المملكة. وتشير الروايتان (٢٢ : ٢٧٥) و(١١٢:٢٣) أنّ احمد المعقور قد صار محبوبا لدى الملك ومن ثم قرّبه اليه، بيد أنّ الرواية (٢٣١:٢٨) و(٢٣١:٢٩) و(٢٧) قد أعلنت التعليل وذكرت زواجه ببنت ملك التنجر.

أمّا الرواية (١٠:١٥) فتذكر أنّ الأهالى كانوا يومئذ

لا يعرفون شيئا عن الاسلام ولكنهم سمعوا به. فلمّا حضر احمد أكرمه شاودورسيد "واعتبره كضيف". ثم تتعرّض الرواية لقصة الاشراف على الطعام والتسمية عند البدء وغسل الأيدى ولكنّها تضيف أنّ احمد طلب اليه أن يعلّمهم أمور الدين وأسلم الناس وزوّجه السلطان بخيرة "كيرا".

وجاء فى الرواية (١٦) أنّ الهلاليين وفدوا الى دار نوير (بمنطقة الزغاوة بشمال دارفور) وكانت مأهولة بجماعات الميما من قبل ،فحط رجالهم. ثم جاء جد البرنو - الذين يقال عنهم اليوم فى دار نوير أنهم زغاوة كما يزعم الراوى - فوجد احمد المعقور وأبا زيد وأختهما دومه. وقد تزوّج جد البرنو فكى محمد على برناوى ود حاج على بأختهم دومه." وناس البادية لقوه فكى محترم من أرض الحجاز وكان ذلك على عهد السلطان دورشيد أبو الخيرات وكان العرب الهلاليين آنذاك ببهائمهم على جهات مزيد وفوراوية". وولدت دومه أولا محمد دوراى ثم دقين ونوبى ثم بنتا تسمّى كدو ثم ولدا يسمّى عقاب. ثم أنّ احمد وأبا زيد قد اختلفا تعقر الثانى الأول وغادر الى "بحر أبيض" (النيل الأبيض). وفى طواف السلطان شاودورشيد وجد العرب الهلاليين ومعهم احمد المعقور. وتزعم الرواية أنّ السلطان كان "طليانى أصلو فوراوى" أى (ايطالى الجنسية). وفى (٨٢:٢٦) ذكر أنّ احمد قد علّم الملك بعض آداب السلوك. فعهد اليه الملك بتصريف بعض شئون مملكته ومن بعد زوّجه بنته (الوحيدة) "خيرة". وفى (٢٧٥:٢٢) جاء أنّ احمد المعقور صار محبوبا فى بلاط الحاكم "كوردما" فزوّجه بنته. وفى هذا تتفق هذه الرواية مع (١١٢:٢٣)،غير أنّ الرواية الأخيرة تضيف أنّه اكتسب هذا الود والحب من تلك الجماعات بسبب نشره الاسلام. أمّا الرواية (٤٠:٢٥-٤١) فتورد أنّ الملك كور آخر ملوك التاجو قد قابل احمد بالترحاب لمّا وفد اليه وقرّبه منه. ونسبة لأنّ الملك كور قد استولى على الحكم بالقوة فقد قام بتعيين احمد للاشراف على منزله وكان يستشيره فى

كل المسائل . وهكذا توطّد نفوذ احمد حتى كان له ما أراد باخضاع مشايخ "التاجو" ووزّع الأرض على الفقراء، وأوقف الهجمات الداخلية، وأدخل الشعور بالطمأنينة والقناعة، وقد أدخل كثيرا من الاصطلاحات خاصة فى بيت الملك كنظام الأكل. وقد كان الناس يتناولون الأكل فورا احضاره وبدون تنظيم لأوقاته ولهذا فانّهم لا يشبعون وكان لا يبقى للمتأخرين شيء أو نصيب ممّا يغضبهم فيثورون حتى يكادوا أن يسفكوا الدماء.

صار احمد محبوبا فزوّجه السلطان بنته، واختاره الناس ملكا عليهم بموته. وذاع أمر تولّيه الحكم فسمع الناس من برنو وودّاى والتنجر فجاءوا بأعداد كبيرة وبذلك أنهوا (دالى) الذى ينتمى الى قبيلة الفور الكيرا .

فى هذه الرواية -(٢٥)- ظلّ الراوى يقول (التاجو) بدلا عن (الداجو). وتبدو المسألة غريبة عندما نعلم أنّ مقر اقامة الراوى، إبّان تولّيه ادارة دارفور على ايام التركية السابقة، كان فى منطقة الداجو وفى (دارا) بالتحديد. وقد عوّل آركل فيما بعد كثيرا على (التاجو) لاستنتاج أصل (الداجو). ونلاحظ كذلك أنّ احمد المعقور وسلالته يمثلان فترة انتقال الحكم من (الداجو) الى الفور الكيرا. وبذلك تحذف الرواية فترة حكم التنجر ، بل وتصفهم بأنّهم وفدوا الى دارفور بعد تولّى احمد المعقور الحكم وسماعهم بذلك .

وتأتى الاختلافات الرئيسية بين الافادات التى تعرّضت لها والمتبقية فى عدم عرض بقية الروايات الى قصة الطعام ولم تعرها اهتماما أو تشر اليها. ففى الافادة (١٦) زعم أنّ السلطان قد وجد احمد المعقور عربيا ويتمتع بادراك وتصرّف وفق ما شرّع الاسلام - "اسلامه كويس" - فزوّجه خيرة. وفى (١٢:٢٤٩) قيل أنّه صار سلطانا على (رقيق وخديم) ثم تزوّج سلطانا فى السلطنة كلّها فيما بعد وزوّج بامرأة تدعى "أم بشاير" "لأنها باشرت الاسلام ومره (إمرأة) صالحة".

أمّا الافادات (٢٧:٢٣١)، (٢٩:٢٣١-٢٣٢) و(٣٠:٢٣٢) فقد أوردت معلومات مغايرة. فقيل أنّ أبا زيد وأهله قد عاشوا مع البقارة وتزاوجوا كما فى (٢٧:٢٣١). بيد أنّ الرواية (٢٩:٢٣١-٢٣٢) تؤكد وصول أبى زيد واحمد المعقور لتونس وهناك وقع احمد أسير حب أميرة مغربية واستطاع أن يخفى الأميرة فى كهف ووفّر لها اللّبن الذى يأخذ منه الناس ولا يدرون شيئا عن الأميرة.

أمّا الرواية (١٩) فقد أوردت كيف أنّ حامد قد وجد امرأة تدعى تولوقيقة ووضعها بين أزواجه. وطلب أخوه احمد المعقور زواجه منها فرفض. وهكذا تؤسس القصة سبب خلاف ونزاع حامد وأخيه بامرأة، لتوافق فى المضمون العام بقية الروايات (خلاف بسبب امرأة). وتمضى الرواية وتطيل قصة الغرام وتؤكد أنّ تولوقيقة ساعدت أخاه فى اكتساب عدد كبير من الابل عند اقتسامها مع حامد. ثم تورد جانبا من صراع على الحكم بين أبى زيد وجماعته من جانب وبين الزناتى وهو - فيما يبدو - رئيس القوم فى تونس. وقد نشبت الحرب بعد أن فشل حامد (أبو زيد) وجماعته فى كسب ودّه إذ قدّموا له أخت أبى زيد بعد أن ألبسوها الذهب وكان ذلك عند الخريفى. فاستشار الزناتى ملك تونس بأن ينتظر أهل أبى زيد أربعين ليلة وانتظرهم فقويت الخيول ودارت الحرب. وتحكى الرواية تفاصيل الحرب والمبارزة. وخلاصة القول أنّ القسم الأول من القصة يمثل قصة (المثل) الوارد فى نهاية القصة (كانت شطاطة نار، البندى يطفاها، خلّيتها لغاية ما بقيت لهيب).

ثم إنّ حامد سار جنوبا الى أن وصل الى موقع (سلاطين المعقور) وأنّ وكيل السلطان (عبد الحميد) قد ناصره فأرسل الى اهله فجاءوا .. واستولى على الحكم بالقوة فى معركة (أم ضيان). وهذا الجزء عبارة عن قصة المثل (طير البجع شال عده ونجع) وهذه القصة تورد بعض المقتطفات التى تماثل الرواية (٢١) مثل الحديث عن الزناتى ملك تونس وحديث أبى زيد

عندما اشتمّ الأرض وصاغ المثل بأنّها لا تصلح للسكن. أعدّ عبد الحميد جيشا وسار الى أم ضبان وهزمهم القوم هناك . سكن هو هناك وقسّم البلد العاديك للمجانين ومجموعة أخرى دار حامد وأم دقينة فى الغرب لمجموعة أبى زيد الهلالى. ورغم بعد المسافة بين مكان الروايتين (١٩) و(٢١) وهما الحصاحيصا فى الجزيرة فى وسط السودان والمزروب فى شمال كردفان فى غرب السودان الاّ أنّهما اتفقتا على ما لم تذكره أية رواية أخرى خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار أنّ ما اتفقتا عليه تمثل عبارات أو صيغا محفوظة. وهذا أدعى للقول بدواعى الاستلاف وصلة الروايتين رغم التباين الواضح فى بقية التفاصيل.

(٤٣) لم تذكر أية من الروايات موضوع استشارة الرعية فى أمر زواج بنت السلطان الى احمد المعقور .

(٤٤) أجمعت كلّ النصوص الواردة لدينا،والتى أشارت الى زواج احمد المعقور من خيرة على أنّهما أنجبا "سليمان صولونق" أى (سليمان العربى). وذكرت كلمة "صولونق دنقا" بمعنى العربى فى الرواية (١٩٢:٩) بدلا عن (صولونق). ولكن الرواية (٨٣:٢٤-٨٤) و(١١٢:٢٣) لم تعيرا موضوع الزواج اهتماما ولم تذكراه وأمّنتا نشر الاسلام وادخال نظم وتقاليد متقدمة فى اسلوب الحياة،بينما تزعم الرواية (٢٧٥:٢٢) أنّ احمد أنجب من خيرة ولدين هما (شاو) و(دالى) أو (دليل بحر). وفى (٢١) جاء أنّه أنجب ملك دارفور الذى توارث منه الملك أبناؤه حتى ابراهيم بن حسين "قرض" أى حتى التركية السابقة.

(٤٥) هذه المعلومات لم تذكرها أىّ من الروايات التى بين يدينا. بل إنّ ما ذهبت اليه الرواية من أنّ احمد المعقور مات ولمّا يتعد ابنه التاسعة عشر عاما فلم يرد فى أىّ من الروايات على نحو ما سيأتى فيما بعد .

(٤٦) انفردت هذه الرواية لوحدها بهذه المعلومة ولم تتواتر فى أىّ من الروايات الأخرى.

(٤٧) توافق الروايات (١:٣١)، (٢:٤٠)، (٩:١٩١-١٩٢)، (١٥:١٠)، (٢٦:٨٢) هذه الافادة فى أنّ الناس قد أجمعوا على تسليم سليمان صولونق دنقا الحكم مباشرة. أمّا الرواية (٤:٥٣) فتذكر أنّ سليمان قد استولى على الحكم بالقوة بعد ما أمر ثلاثة من خواله بالدخول فى الاسلام فأسلم أحدهم ورفض الاثنان، فقاتلهم حتى قتل أحدهم وهرب الآخر. وبايعته القبائل الأخرى المجاورة، التى صارت لحظتئذ مسلمة ماعدا قبائل الكارا والبنقا والرونقاء، والتى أجبرت بعد وفاة شاودورشيد وأنّ احمد المعقور كان (عقيل) الملكة وأنّ ابنه سليمان قد صار ملكا فيما بعد (أى عن طريق الوراثة عن الأم) وتضيف الرواية الى أنّ احمد المعقور قد تزوّج ثانية فى هذه الفترة وأنجب أولادا هم "المسبّعات" فى حين أنّ الروايات (٦:١١٥)، (٢٥:٨٣)و(٢٦:٨٢-٨٣) تذكر أنّ الملك قد آل لأحمد المعقور ومن ثمّ لسليمان (عن طريق الوراثة). وأثبتت الرواية (١٠:٢٠٩) أنّ سليمان قد صار ملكا دون الخوض فى كيفية ارتقائه تسلّم الحكم. أمّا الرواية (٢١) فتكتفى بايراد أنّ نسل احمد قد صاروا ملوكا لمملكة الفور وعددهم واحد وعشرون ملكا، فى حين أنّ الرواية (٣،٥،٧،٢٨،١٦،١٧،١٨،٢٣،٢٧،٢٩،٣٠،٣١) قد تجاهلت تماما هذه الحادثة ولم تذكرها. وحدّدت الرواية (٢٠:١١٢) سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٥م بأنّها السنة التى بايع فيها الناس احمد ملكا. غير أنّ الرواية (٢٠:٤١) تقول إنّ الناس قد أجمعت على تسلّم احمد المعقور الحكم. أمّا الرواية (٢٢:٢٧٥) فتذكر أنّ احمد المعقور قد تزوّج (خيرة) بنت السلطان ومن هذه الزيجة ولد شاو ودالى.

(٤٨) لم تشر أىّ من الروايات الى هذه المعلومة.

(٤٩) المعلومات الواردة فى هذه الرواية من كتابة "سليمان سولونق الى جزيرة العرب" وحتى نهاية الفقرة المشار اليها لم ترد فى أية رواية أخرى ممّا لدينا سوى الرواية (٣ : ٤٦) التى ذكرت فقط أنّ العرب القادمين تزاوجوا مع السكان المحلّيين.

(٥٠) هذا الجزء المتبقى من هذه السيرة والى نهايتها والتى تروى عن ولوج العرب الى دارفور،ثم توغلهم فى تشاد وعودتهم مرّة أخرى ورحيل بعضهم بنية العودة لجزيرة العرب واستقرار جزء منهم، لم يرد فى أية رواية ممّا ورد لدينا، وهذا الجزء، فيما يبدو،رواية منفصلة تحكى قصة دخول العرب ونسجت مع رواية احمد المعقور لانتهاء الرواية الأولى بتسلّم الأعراب قيادة المنطقة وبدء تدفّق وانسياح العنصر العربى لدارفور وانتشار الاسلام بين القاطنين .

(٥١) الروايات (١:٣١)،(٧:١٢٧-١٢٨)،(١٦)،(١٣:٧)،(١٠:٢٠٩)،(١١:٢٣٦) (١٥:١٠)،(٢٦:٨٢)،(٢٢:٢٧٥) و(٢١) تشير أيضا الى أنّ سلالة (خيرة) أى (كيرا) التى أنجبت سليمان صولونق دنقا قد صاروا ملوكا عرفوا بأسرة الكيرا عند الفور. أمّا الروايات (٤:٥٣)،(٦:١١٥)،(٨:١٥٠)،(١٧)،(٢٤:٨٤)،(٢٥:٨٣) و(٧٨:٢٣٥) فقد أشارت الى أنّ سلالة احمد المعقور هم الذين صاروا سلاطينا وأهملت تماما ذكر (خيرة) أو (كيرة). أمّا الرواية (١٢:٢٤٩) فتقول أنّ(سليمان) هو جد الفور ولم تشر الرواية الى (خيرة) مطلقا بالطبع لأنها أوردت أنّ (أم بشاير) هى زوجة احمد المعقور وأم سليمان . والرواية (٥:٩٧) تروى أنّ (عيال احمد المعقور هم كنجارا وهم سلاطين دارفور)، أمّا (كيرا) فهم (عيال الخادم) التى كانت برفقة احمد المعقور يوم وصوله هناك . ثم أنّ ما ورد فى (٩:١٩٢) يشير الى أنّ محمد عبد الله المعقور كان من قبيلة الزيادية وهو الذى أنجب سلطان الفور أى سليمان . ولم يرد ذكر لخيرة أو للكيرة وسليمان صولونج دنقا فى كلّ من (٢٧:٢٣١)،(٢٨:٢٣١) ، (٢٩:٢٣١-٢٣٢) و(٣٠:٢٣٢) .

(٥٢) صبّحوا: ساروا شرقا،ويقال فى دارفور (دار صباح) أى (المشرق) والمقصود السودان "الشمالى" أى المنطقة الواقعة شرق اقليم دارفور .